
الرسالة

Ire. Année, No. 24

Lundi 18-12-1933

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الاقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع الساحة رقم ٣٩ بالقاهرة

تليفون رقم ٤٢٩٩٢

السنة الأولى — القاهرة فى يوم الاثنين أول رمضان سنة ١٣٥٢ — ١٨ ديسمبر سنة ١٩٣٣ — العدد الرابع والعشرون

فهرس العـــدد

من لغو الصيف الى جد الشتاء

للدكتور طه حسين

كنا نلغو أثناء الصيف ، فلنجدَّ أثناء الشتاء ، وماذا كان يمنعنا من اللغو أثناء الصيف ، وفى الصيف تهدأ الحياة ويأخذها الكسل من جميع أطرافها فتوشك أن تنام ولا تسير الا على مهل يشبه الوقوف ، وفى اناة تضيق بها النفوس . كل أسباب النشاط مؤجلة الى حين ؛ غرف الاستقبال مقفلة ، وملاعب التمثيل مغلقة أو كالمغلقة ، ولا تذكر الموسيقى والغناء ، فمن للموسيقيين أو المغنين بهذا الجو القوى الحى الذى يبعث النشاط والخفة والمرح فى النفوس والقلوب ، وفى الألسنة والأيدى ، جو ثميل يستتبع فتوراً ثميلا ، يضطر الناس الى أن يغدوا على أعمالهم فاترين ، ويروحوا الى بيوتهم مثقلين ، لا يكادون ينظرون الى المائدة حتى ينصرفوا عنها ، تنازعهم نفوسهم الى النوم ، وتنازعهم أجسامهم الى أمهم الارض ، فلا يكادون ينظرون الى سرير أو شىء يشبه السرير حتى يسرعوا اليه ، ويلقوا بانفسهم عليه ، واذاهم يتصلون به ويتصل بهم ، واذا هم يمتزجون به ويمتزج بهم ، واذا هم يصبحون مثله شيئاً جامداً خامداً

لا حركة فيه ولا حياة، الا هذه اليقظة الفاترة البطيئة الثقيلة السمجة التى تلم بهم من حين الى حين، حين يثقل عليهم الحر، ويشتد عليهم القيظ، فيفيقون أو يهمون بالافاقة، ثم يغرقون فى النوم ليفيقوا، ثم ليعودوا الى الغرق فيه. ثم ينحسر النهار عن الارض بشمسه المحرقة الملتهبة. ويقبـــل الليل متثاقلا متثائباً، يبعث فى الجو أنفاساً حارة. كأنها أنفاس العاشق الولهان المحروم قد أوقد الحب الخائب فى قلبه ناراً مضطرمة قوية اللظى فلا تكاد أطراف هذا الليل الكسلان تمس الأرض حتى تبعث فى الناس نشاطاً كسلا يدفعهم الى حركات متخاذلة، فيخرجون من بيوتهم متثاقلين قد ضاقوا بالدنيا وضاقت بهم. فهم يهيمون إن حملتهم أقدامهم يلتمسون مكاناً خضراً نضراً لعلهم يجدون فيه فضلا من نسيم قد صافح الماء، وأطال عشرته بعض الوقت، فيحمل الى وجوههم والى قلوبهم شيئا من هذا البرد الخفيف اللطيف الذى يردهم الى شىء من الدعة والهدوء

هنالك يريدون أن يخرجوا من أنفسهم وأن ينسوا أشخاصهم، فيعمدون الى اللغو يقبلون عليه كما يقبـــل المريض على الطعام، لا يكادون يذوقونه الا على كره وفى مضض، ولعل الجو أن يعتدل، ولعل النسيم أن يرق، ولعل هذه الاشربة الباردة المثلوجة أن تخفف بعض هذا اللظى الذى يجدونه فى نفوسهم وفى اجسامهم فتنطلق الالسنة من عقلها بعض الشىء، وتستطيع النفوس ان تحرك اجنحتها قليلا وان تصعّد فى الجو بعض التصعيد ويستطيع المرح الهادىء ان يبعث فى القلوب شيئا من الراحة والابتهاج. ثم يتقدم الليل ويذكر الناس ان الصبح سيشرق بعد حين ومعه الاعمال والاثقال، والتكاليف والحر والضيق، واذا هم مضطرون الى ان يعودوا الى بيوتهم ويسعوا الى مضاجعهم كارهين

كذلك نقضى الصيف فى بلادنا ان لم نكن من المترفين الذين لا يكادون يحسون الصيف حتى يعبروا البحر الى حيث يحيون حياة اخرى، او لا يكادون يحسبون الصيف حتى يسرعوا الى ساحل البحر، فيحيون حياة خير منها ما نحن فيه من كسل وفتور، ومن تقصير وقصور، فالجو الصيف شىء طبيعى ملائم أشد الملاءمة لحياة الصيف. اما الشتاء فشىء آخر كله فرح ومرح، وكله حركة ونشاط، وكله حياة خصبة عذبة منتجة، تجد فيه النفوس اقصى لذاتها، وتجد فيه الاجسام اقصى قدرتها على الاستمتاع. أكل كثير، وشرب كثير، واضطراب فى الارض كثير، وأقبال على العمل. ونسيان للكسل. وحياة ماوءة الى حافتها، تفيض او تكاد تفيض بما يفعمها من الآمال والأعمال. ثم ضيق بالحياة، لأن الحياة تضيق بما نريد. وتعجز عن أن تسع كل ما تسعه آمالنا ورغباتنا وشهواتنا، وقد كدت أنسى واجباتنا.

وهل للواجبات مكان فى حياة الشتاء هذه التى يفعمها الجنون؟ مسكينة هذه الواجبات! يطاردها فتور الصيف ويطاردها نشاط الشتاء. فحظها من عنايتنا قليل دائما. ولعمرى انا لمعذورون، اما عذرنا فى الصيف، فلا يقبل جدالا ولا مراء، ومن ذا الذى يستطيع ان يكلف الناس ان يعملوا وهم عاجزون عن العمل، او يكدوا وهم مصروفون عن الكد. والله عز وجل لا يكلف النفوس الا وسعها، ولا يحمل الناس مالا طاقة لهم به. واما فى الشتاء. فعذرنا ابلغ منه فى الصيف. و كيف تريدنا على ان نفرغ للعمل، ونخلص للانتاج، ونؤدى واجباتنا مشغوفين بها، مقبلين عليها، وحولنا من المغريات مالا تقاومه إلا نفس سقراط أو اشباه سقراط. ومن يدرى لعل سقراط لو عاش فى أيامنا، واضطرب فى بيئتنا، لكان رجلا مثلنا تصرفه المغريات عن ان يعرف نفسه بنفسه، وعن أن يولد نفوس محاوريه ويخرج منها كل ما احتوت من حقائق العلم والحكمة. وفنون المعرفة والوان الخير

وقد زعموا أن امرأة سقراط كانت مسلطة عليه، وانه كان يخافها خوفا شديدا، ويشفق منها اشفاقا لا حد له، فلو عاشت امرأة سقراط فى مدينة القاهرة وفى القرن العشرين لاتخـــذت لها يوماً فى كل اسبوع، تستقبل فيه الزائرين والزائرات، فلا تكاد تطالع الشمس حتى تهيء وتضطر زوجها الى ان يهيء معها غرف البيت لاستقبال الزائرين والزائرات،

وحتى تسعى وتضطر زوجها الى أن يسعى معها الى حيث تشترى الوان الحلوى وفنون الزهر وصنوف الفاكهة ، حتى اذا تقدم النهار ودنت الساعة الرابعة قامت واضطر زوجها الى أن يقوم معها لاستقبال الاصدقاء وغير الاصدقاء من هؤلاء الذين يغشون غرف الاستقبال لأنهم يتكلفون بغشيانها ، أو لانهم يكرهون غشيانها . تكرههم عليه امرأة سقراط وأمثالها ، لأن امرأة سقراط لا تغفر لفلان وفلان من العلماء والادباء واصحاب الفن ان يهملوها ، او ينصرفوا عن غرفة استقبالها ، وهى تصر اشد الاصرار على أن يظهروا فى بيتها مرة فى كل اسبوع ، حتى لا يقول صديقاتها ان غرفتها ليست حافلة باعلام الفن وافذاذ الادب ، ورجال المال والاعمال ، فاذا فرغت امرأة سقراط وفرغ معها زوجها من الاستقبال وما فيه من حديث مختلف مؤتلف ، معوج مستقيم ، واضح غامض ، خصب جدب ، خطر برىء ، فلم تنته امرأة سقراط ولم ينته سقراط من كل شىء ، وانما ابتدأ شيئا لا سبيل الى ان ينتهى ، فهؤلاء الزائرون والزائرات لا بد ان ترد لهم الزيارات ، لأنهم كسقراط وامرأة سقراط مضطرون الى ان يستقبلوا كما كانوا مضطرين الى ان يزوروا ، وكذلك تقضى امرأة سقراط ويقضى معها سقراط مساء كل يوم متنقلين من دار الى دار ، ومن غرفة استقبال الى غرفة استقبال ، يقولان كلاما ، ويسمعان كلاما يُصدِّقان ويكذِّبان ، ويَصدُقان ويكذبان ، وويل لسقراط ان ادركه الكسل أو أصابه الملل أو شغلته الفلسفة أو صرفه عن زيارة من هذه الزيارات حوار مهما تكن قيمته ، ومهما يكن المحاورون ، فافلاطون و كسنوفون ، وفيدون ، وفيدر ، كل هؤلاء يستطيعون ان يلقوه فى داره يوم استقباله ، أو فى دار من هذه الدور التى تستقبل من الساعة الرابعة والثامنة من كل يوم ، واذا لم يكن بد من الحوار فى الطبيعة أو فى القوانين ، أو فى أى شىء من هذه الاشياء التى تنجم من الارض ، أو تهبط من السماء . فليدبر لهم سقراط وقتا من هذه الاوقات التى يمكن فيها اللقاء دون أن تصرفه عن واجباته الاجتماعية وتعرضه للغضب ، وأى غضب ؟ غضب السيدات !

فاذا فرغت امرأة سقراط وفرغ معها سقراط من الاستقبال والزيارة واقبل الليل ، فالويل كل الويل للفيلسوف العظيم ان دعته نفسه الى ان يعرفها ، او يحقق ما كان مكتوبا على معبد دلف « إعرف نفسك بنفسك » وأين يجد سقراط الوقت الذى يخلو فيه الى نفسه اذا جنه الليل ؟ فالليل لا يلقى على الارض استاره المظلمة ليأوى الناس الى بيوتهم بل ليخرجوا منها ، وكيف تريد ، أن يأوى سقراط الى بيته أو يخلو سقراط الى نفسه ، وهذه الاوبرا قد فتحت ابوابها ، ومدت اسبابها ، وأقبل عليها الممثلون والمغنون يعرضون بدائع التمثيل وآيات الغناء

وهذه دور السينما تعرض فى كل يوم جديدا ، وهذه قاعة (يورت) يوقع فيها فلان ، وقاعة (الليسيه) يوقع فيها فلان ، وقد يجمع سقراط شجاعته كلها ويقول بقلب متردد ولسان متلعثم انه لا يحب ما يمثل الليلة ، أو ما يوقع ، او ما يغنى ، وانه يؤثر الراحة أو الانقطاع لبعض العمل ، ولكن ويل لسقراط من هذه المقالة ! فمن زعم له انه سيشهد التمثيل أو يسمع الغناء لانه يحب أو لا يحب ، ولأنه متعب أو مستريح ، انما يشهد التمثيل ويسمع الغناء ويختلف الى دور السينما لأن الناس يجب أن يروه فى هذه المشاهد كلها ، والا فليس هو من أهل القاهرة ، ولا من ذوى المكانة فيها ، وقد تظن ان سقراط حين يذهب الى الملعب أو الى دار من دور السينما أو الى قاعة من قاعات الغناء يستطيع ان يفرغ للفن أو يستمتع به ، فاطرد عن نفسك هذا الظن ، واذكر أن هناك (الانتراكت) ومقابلات الانتراكت ، واحاديث النظارة والمستمعين عما رأوا وما سمعوا ويالها من احاديث تبغض الفن الى أحب الناس للفن ، يجب أن يكون لكل واحد من هؤلاء النظارة والمستمعين رأى يراه ، وكلمة يقولها فيما رأى وما سمع ، وقد يكون هذا الرأى سخفا ، وقد تكون هذه الكلمة جهلا ، وهما كذلك فى أكثر الاوقات ، ولكن سقراط مضطر الى ان يسمعهما ويقرهما ، أو يجادل فيهما مجادلة المقر الذى لا ينكر . وهناك ما هو أثقل من ذلك ، فيجب أن يكون لسقراط رأى يراه وكلمة يقولها وان لم ير شيئا ، وان لم يرد أن يقول شيئا ذلك أنه اذا لم يقل كلمته اتهم بالجهل ، أو وصف بالكبرياء .

وكلاهما لا يليق بالحيوان الاجتماعي الذى ذكره ارسطاليس فى كتاب السياسة ، والذى يتألف منه ومن أمثاله سكان مدينة القاهرة ، كما يتألف منه ومن أمثاله سكان باريس .

حتى اذا تقدم الليل عاد سقراط الى بيته متعبا مكدودا فآوى الى مضجعه ولم يلبث أن يأسره النوم . ولعلك تظن أن تكاليف سقراط تقف عند هذا الحد ، فما أشد اغراقك فى الوهم ! واين أنت من المحاضرات ؟ وما أدراك ما المحاضرات ؟ محاضرات فى الجمعية الجغرافية ، وأخرى فى الجمعية الاقتصادية ، وأخرى فى قاعة يورت التذكارية ، وأخرى عند جروبى ، وأخرى فى الكونتنتال ، ولابد لأسرة سقراط من أن تشهد هذه المحاضرات لتكون ظريفة متلطفة ، مجاملة للمحاضرين والمحاضرات ، ثم لتظهر أيضا ، او لتظهر قبل كل شىء . والمحاضرون قوم قساة لا يحفلون بالناس ولا يحفلون بانفسهم ، وانما يحفلون بالمحاضرات ، فهم يحاضرون فى غير رفق ، وهم يحاضرون فى غير حساب ، وهم يتنافسون فى المحاضرات لا فى كيفية المحاضرات وقيمتها وحظها من الجودة ، بل فى عدد المحاضرات وعدد المستمعين . والاعلان فى الصحف ؛ وقد تسوء الحال فيلقى محاضران محاضرتيهما فى وقت واحد وفى مكانين مختلفين طبعاً ، ويومئذ يضطر سقراط الى أن يشهد إحداهما ، وتضطر امرأته الى أن تشهد الاخرى ، فلا بد من ظهور أسرة سقراط فى المحاضرتين جميعاً فاذا انتهى كل من المحاضرين تقدم اليه نصف الاسرة فهنأه وحياه واعتذر له عن النصف الآخر لانه مشغول بمحاضرة فلان . يا لهذا الفصل : فصل الشتاء ! انه يشغل الوقت ، ويصرف الناس حتى عن الحياة ، وقد تعطف الظروف على سقراط وتؤثره الايام بخير ما عندها من اللذات والمتاع . واذا هو مضطر الى أن يستمتع رغم أنفه بتناول الشاى عند فلان ، ثم عند فلانة ، ثم بالاستماع لمحاضرة يلقيها فلان فى الساعة السادسة ، وأخرى يلقيها فلان فى الساعة السابعة ، ثم يخطف عشاءه خطفاً ، ويلقى ملابس النهار ويتخذ ملابس الليل ليسرع الى الاوبرا ،

ويل لسقراط ان لم يكن من أصحاب السيارات ! وويل للسيارة وسائقها ان كانت لسقراط سيارة ، من هذه الايام العذاب الكذاب أيام الشتاء ، ثم حدثنى بعد ذلك كيف يستطيع سقراط أن يفرغ لفلسفته ومعرفة نفسه وحوار تلاميذه اذا كان الصباح ، وأين له القوة التى تمكنه من أن يفلسف أو يفتش عن نفسه أو يحاور أصدقاءه بعد هذا الجهد العنيف الذى أنفقه أو الذى احتمله منذ أقبل المساء الى أن انقضى الليل أو كاد ينقضى . ومع ذلك فلا بد لسقراط من أن يعنى بفلسفته . ويبحث عن نفسه ، ويحاور أصدقاءه ، لأنه بذلك يعيش ، ولذلك يعيش ، ومن ذلك يعيش ؛ أرأيت أن سقراط لم تظلمه الايام حين جعلت حياته فى القرن الخامس قبل المسيح فى ذلك الوقت الذى لم تنشأ فيه الصالونات ، ولم تكثر فيه المحاضرات ، ولم تتعدد فيه ملاعب التمثيل وقاعات الغناء ، ولم تظهر فيه دور السينما ، لقد كان سقراط سعيداً حقاً ، كان يشهد التمثيل أياماً فى العام ، مرة فى الربيع حين يكون فصل التراجيديا ، ومرة فى الخريف حين يكون فصل الكوميديا . وكان يختلف الى بعض الدور : الى دار بيركليس مثلا ، ليسمع بعض السفسطائية ، وليحاور أو ليستمتع بجوار هذه المرأة الجميلة زوج بيركليس . وكان ينفق ما بقى من وقته ، وهو أكثره من غير شك ، متنقلا بفلسفته فى شوارع أثينا ، أو باحثاً عن نفسه فى حمام أتينا وملاعب الرياضة فيها . وانا واثق بان سقراط لو خير بين حياتنا الحلوة العذبة ، وبين سجنه الثقيل وما تناول فيه من السم لآثر السجن والسم على هذه اللذات الطوال الثقال التى نحتملها نحن فى فصل الشتاء .

أرأيت ان الصيف هو الفصل الذى يحسن فيه اللغو ، وان الشتاء هو الفصل الذى لا يحسن فيه الا الجد ، ولا يمكن فيه الا الجد ، ولعلك تظن ان ما حدثتك به هو كل ما فى الشتاء من جد ، فذد عن نفسك هذا الوهم ، ففى الشتاء جد آخر مر كله ، لا حلاوة فيه ، فانت توافقنى على ان الزيارة والاستقبال ، والاختلاف الى المحاضرات ، وشهود التمثيل والاستماع للمغنين والموقعين ، كل ذلك يحتاج الى نفقات ، فثياب الشاى غير ثياب التمثيل ، ولكن ماذا اريد ان اقول ؟ ومالى ادخل بك فى هذا الحديث الذى لا فكاهة فيه ولا امتاع ؟ أهذا كل ما يحمل الينا الشتاء من الجد ؟ كلا

(البقية على صفحة ٣٩)

كيف يرقى الادب

للاستاذ احمد أمين

أشرت فى مقال سابق الى العلاقة بين الذوق العام ورقى الأدب ، ووعدت القراء أن أعود الى هذه العلاقة ، أزيدها بسطاً وايضاحاً ، وذلك ما أحاوله فى هذا المقال

يذهب بعض المفكرين الى أن الفنون ـ ومنها الادب ـ ترتقى وتنحط ، وتعلو وتسفل ، وتتقدم وتتأخر ، فى الامم اعتباطاً من غير أن يكون لذلك أسباب . أو على الاقل أسباب ظاهرة . فالناظر لتاريخ الفنون فى العالم يرى أن أمة فى عصر من العصور قد ترقى فى فن من الفنون كالموسيقى أو الحفر أوالتصوير أو الشعر ، على حين أن أمة أخرى ترقى فى فن آخر من هذه الفنون ، ثم بعد رقى عظيم تنحط الامة فى هذا الفن ويحل محل الفن فن آخر . أولا يحل محله شيء ، وتتبادل الامم ذلك من غير أن يكون لهذا التقدم وهذا التأخر علة مفهومة ، وشأن الفنون شأن النابغين ، فقد ينبغ النابغ فى أمة ولا نعرف لم نبغ وكيف نبغ ، وتحاول الامة أن تخلق نابغين فلا ينخلقوا . — بل ترى الامر عجبا ، فقد يوجد النابغة والامة على أسوأ ما يكون من ضعف فى الخلق . وضعف فى العقل ، ثم ترقى الامة عقلا وترقى خلقا . وكان مقتضى هذا أن يكثر عدد النابغين فيها ويزدادوا نبوغا بازدياد الامة رقيا فينعكس الامر حتى لتجد الامة وأعضاؤها قوية ولا رأس . بينما كان لها فى حال ضعفها رأس قوى ولا أعضاء — ماذاك الا لان النابغة يوهب ولا يخلق . وقد قال هؤلاء إن الفنون فى ذلك ليست كالعلوم ، فالرقى فى العلوم سبيله ميسور ممهد ، وتستطيع الامة أن تضع لها خطة تسير عليها لترقى فى الطبيعة أو الكيمياء أو الرياضة . فاذا هى جدت فى ذلك وصلت الى درجة من الرقى تناسب جدها واستعدادها ، ولكنها لا تستطيع أن تضع خطة تسير عليها للرقى فى الشعر والموسيقى والتصوير ، لان ذلك نوع من الالهام ، والالهام بيد الله يمنحه من يشاء كيف شاء متى شاء — ولعل الكاتب يشعر بهذا تمام الشعور فى نوع مايكتب ، فهو اذا أراد ان يكتب بحثا علميا او يحقق لفظا لغويا او يحرر حادثا تاريخيا ، فهو فى أكثر اوقاته مستعد لذلك ، مالم يكن مريضا أو مهموما — ولكنه اذا شاء ان يكتب قطعة فنية أدبية انشائية لا يستطيع ذلك الا فى حالة نفسية صافية ، ومزاج يتناسب والقطعة الفنية التي ينشئها . من حزن أو سرور . وحلم أو غضب . ويصادفه وقت هو كما يسميه الصوفيه — وقت تجلٍّ ، يجيد فيه ويغزر ويسمو فيه ويصفو . ويعجب كيف أجاد وكيف غزر . ثم هو يحاول بعد مرارا ان يخلق مثل هذا التجلى . فيفشل ثم يفشل ، ويحار فى تعليل ذلك ، وتعليلها هو ماقاله علماء الكلام « ولم تكن نبوة مكتسبة » — هو فى العلم مالك وقته يصرفه كما يشاء ، وهو فى الأدب ينتظر الالهام

وقالوا إن رقى الامة فى الادب لا يرتبط بدرجة ثقافتها ، ولا برقيها العقلى ، ولا بأى سبب من الاسباب ، فالامة المصرية — قديما — رقيت فى فنون النحت والنقش والبناء رقيا بديعا جعلها من اساتذة العالم فى هذا الباب ، وخلّفت على مر الأزمان ثروة لا تقوّم ، ولا تزال قبلة الفنانين تستخرج اعجابهم وتلهم أذواقهم ، والمصريون الآن ليسوا اساتذة فى الفن ، حتى ولا تلامذة ، مع ان أحدا لا يستطيع ان يقول ان المصريين القدماء كانوا أرقى منا عقلا وأعلى ثقافة ـ وكذلك يشكو كثير من الاروبيين من ان الفن ـ ماعدا الموسيقى ـ أخذ يتدهور من القرن السادس عشر مع ان أنواع العلوم فى رقى مستمر . وعقليات الأمم فى تقدم دائم . ـ ولو كان الامر بالعلل والاسباب المنطقية لوجب ان يكون المصريون اليوم أعلى فنا وأكثر نبوغا ، ولكان الفن الأوربى الآن أسمى وأتم منه فى القرون الوسطى ـ فأما وقد عجز المنطق عن تقديم مقدمات ونتائج صحيحة فليس الا الألهام ، وليس للامة الا ان تنتظر ما يأتى به القدر

هكذا قالوا ، أوحاولوا ان يقولوا ، وبهذا احتجوا ، او حاولوا ان يحتجوا ولكن هل هذا صحيح ؟ ـ ان فى هذا الرأى غلوا مفرطا ، انه يخرج الأدب عن دائرة الارادة ويجعله مجرد انتظار للوحى والألهام ، ومن الحق ان للأدب خطة تنتهج كمنهج العلم ، وأن من نعده للأدب يجب ان تثقفه ثقافة

خاصة كالذى نعده للعلم ، ولكن من الحق أيضا اننا لانخلق الاديب ببرنامجنا ، بل لابد ان تكون قد هيأته الطبيعة ومنحته استعدادات خاصة وكفايات ممتازة ،وتهيؤا لقبول الالهام ، ولكنه فى كل ذلك كالعالم ، فبرنامج العلم لايخلق نابغة فى العلم انما يُعده ، والعالم لابد ان يكون مهيأ للالهام كالأديب . واكثر المخترعات والمستكشفات فى العالم كانت نتيجة الهام اكثر منها نتيجة لمقدمات منطقية وتجارب عملية ،وانما التجارب تهيىء للالهام وتحقق ما يأتى به ، وتبين صحيحه من فاسده وتسمى هذه الالهامات فروضاً .

ويظهر ان اتجاه هؤلاء الباحثين هذا الاتجاه سببه عقيدة سادت بين علماء الفن وعلماء الجمال عهداً طويلا وهى « ان الذوق لا يعلّل » فالناظر ينظر الى الصورة فيستجملها أو يستقبحها ، فان أنت سألته لم استجملها أو لم استقبحها لم يحر جوابا ، واذا أجاب أجاب بكلمات منمقة ولكنها جوفاء لاتحوى علة ولا توضح سببا ، وانما هى نفس الدعوى بألفاظ رشيقة جميلة ، واذا رأيت طاقة من الزهر قلت ما اجملها ولكن ان سئلت لم كانت جميلة قلت انها منسقة ، انها بديعة الألوان ، ان نفسى لترتاح الى رؤيتها ، انها لتسر النظر ، وتبهر العقل ، وأنت غنى بعدُ عن أن أقول لك ان هذه ألفاظ وجمل قد ترضى البلاغة ولكن لا ترضى المنطق وقد تعرض صورة أو يظهر انسان امام جمع من النظارة فهذا يستحسنه وذاك يستقبحه ، وثالث لا يستحسنه ولا يستقبحه ، فأذا سألت من استحسن لم استحسن ومن استهجن لم استهجن ، ومن حايد لم حايد ، كانت الاجابات مثاراً للعجب وموضعاً للضحك — وقد ترى انسانا كل عضو من أعضائه على انفراده جميل ، ولكنه ليس جميلا ككل ، فما الذى كوّنه هذا التكوين ؟ وما الذى وضعه هذا الوضع ؟ و لِمَ استحسنته مفرقا ولمْ تستحسنه جملة ؟ لاشىء فى الحقيقة الا الذوق الذى لا يعلل ،وهذا هو الشأن فى الأدب ، وأظهر مثل لذلك مافعله عبد القاهر الجرجانى فى اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ،فماذا صنع — انه يأتى بالبيت الجميل ثم يقف ويتساءل فيم كان جماله ،فما هو الا أن يصوغ لك جملا رشيقة فيقول :ان هذا اللفظ يروقك ويؤنسك ، وغيره يثقل عليك ويوحشك ، وهذا الوضع يبهرك جماله . وهذا النظم يأخذ بلبك مافيه من نسج وصياغة ، ووشى وتحبير ، ويعلل سبب ذلك أحيانا بالتقديم والتأخير ، وأحيانا بالفصل والوصل — وكلها علل لا تصلح ، فأنا اذا جئت بأن آتيك بتقديم يحسن ، وتقديم مثله يقبح ، وفصل يروعك وفصل مثله يسوءك وقد تحاول أن تفرق بينهما فلا تستطيع ، ثم تسلم سلاحك وتكتفى بأن تقول هذا جميل . وهذا قبيح ، وهذا يحسن فى ذوق وهذا لا يحسن . وبذلك تكون قد قطعت شوطاً بعيداً . ثم فى آخر الأمر عدت الى النقطة التى بدأت منها سيرك ،وما علوم البلاغة كلها الا محاولة لتعليل الذوق الادبى ،ولكن هل افلحت فى التعليل ؟ انا لنخشى أن تكون قد دارت حول نفسها ، ولم تأت بشىء « لأن الذوق لا يعلل »

واذا كان الذوق لا يعلل فكل ما ترتب عليه لا يعلل ، واذا كان الفن وليد الذوق فالفن لا يعلل ، ولا يعلل كيف ظهر وكيف قوى وكيف ضعف

هكذا أيضاً قالوا أو يصح أن يقولوا — وهذه الآراء — وان كان فيها شية من الحق — ليست حقا كلها ، وليست حقا فى أساسها ، وقد بذل بعض العلماء المحدثين مجهودا حميدا فى بيان ما فيها من حق وباطل وحاولوا أن يفلسفوا الذوق ، ويفلسفوا الجمال ووضعوا للذوق والجمال علما Aesthetics وعدوه فرعا من فروع الفلسفة . وحاربوا فيه الفكرة السائدة : « إن الذوق لا يعلل » ، ووضعوا قواعد لتعليله نجحوا فيها أحياناً وفشلوا أحياناً ، ولا يزال مجال البحث أمامهم فسيحاً ، وكان لهذا الاتجاه الجديد فى علم الجمال أثر كبير فى خلق نظريات فى الأدب . ووضع أسس جديدة للبلاغة والنقد الأدبى مما ليس هذا موضعه

والذى أميل اليه أن الفن نتيجة الذوق لا محالة ، وأن الذوق يمكن تربيته وترقيته ، فالطفل اذا لفتَ نظرُه الى الازهار وجمالها تكوّن فيه الميل الى حبها والاستمتاع بها ، فاذا كان بعدُ أديبا اتصلت حياته الادبية بها ، وظهر فى نتاجه الفنى هذا

الحب وهذا التقدير

والذوق العام للأمة فى قوته وضعفه ورقيه وانحطاطه، ليس يظهر فجأة ولا هو نتيجة المصادفة البحتة، انما هو نتيجة لكل مايحيط بالأمة من ظروف وأحداث، هو نتيجة النظم السياسية، والحياة الاقتصادية والاجتماعية، والثقافة العقلية وغير ذلك، وان شئت فقل ان ذوق الامة هو تعبيرها عما تقوم. فالامة اذا قومت المناظر الطبيعية تذوقتها، واذا قومت جمال الازهار تذوقته. واذا لم تقوم نظام المجتمعات لم تتذوقه ولم يجرح ذوقها تهويش على محاضر أو مغن أو ممثل — والفنان ليس الا معبرا عن ذوق الامة، والاديب ليس الا الموقع للأصوات التى تستلذها الامة

ومن أهم اسباب ضعف الأدب العربى مسألتان تتصلان بهذه الحقيقة: الاولى ان الادب العربى لايتصل بالذوق العام للامة اتصالا وثيقا، لانه يصاغ بلغة غير لغة الشعوب، ولا يتصل إلا بذوق خاص وهو ذوق محترفى الادب، ومن تكون ذوقهم تكونا - كلاسيكيا - ولاأمل فى نجاحه الاان نعمل بأى شكل كان على ان نصل الادب او أكثره بالذوق العام، والثانية تتصل بالاولى. وهى ان الآداب فى أكثر الامم كانت أرستقراطية النزعة يوم كانت القوة فى يد الارستقراطيين، فلما انتشرت الديمقراطية تبعها الادب، فأصبح ديمقراطى الموضوع، ديمقراطى النزعة، اما الادب العربى فقد أصبح ارستقراطيا منذ العهد الاموى، وأصبح أهم أنواع الادب إنما ينشأ حول قصور الامراء والاغنياء، وفى الموضوعات التى تناسبهم من مديح لهم وهجاء لاعدائهم، فلما عمت النزعة الديمقراطية العالم لم تؤثر فى الادب العربى أثرها فى غيره من الآداب، بل ظل محتفظا الى حد ما بأرستقراطيته، وهذا قلل من غير شك اتصاله بالذوق العام للامة - وقد نعود الى توضيح ديمقراطية الأدب فى مقال تال

على كل حال لاوسيلة لترقية الفن ومنه الادب الابترقية الذوق، وربط الفن به، ولذلك وسائل:

من أهمها التأذين فى الناس بصوت عال يهزهم هزا عنيفا حتى يشعروا بان أذواقهم مريضة، لا يشعرون بالجمال كما ينبغى ولا يهيمون بالحسن كما يجب، ولست أعنى جمال الوجوه وحدها، ولكن جمال الازهار، وجمال الطبيعة، وجمال الموسيقى، وجمال الحركة، وجمال النظام، وجمال النظافة، وجمال المعانى، ويجب ألا يقتصر دعاة الفن على الدعوة لجمال الكرنك وأنس الوجود والمساجد الاثرية بل يجمعون الى الدعوة لجمال الماضى جمال الحاضر — وهذا أكثر وضوحا فى الادب فدعوة الادباء دائما وقول الادباء دائما انما هو الى الماضى وفى الماضى، وهذا حسن لدرجة ما ولكن يجب أن يقرن به الدعوة القوية أيضا الى النظر الى أنفسنا والقول فى أنفسنا

يجب أن نغير تسعيرة الاشياء، ونضع تسعيرة جديدة لما يدور حولنا، ونضع امام ناشئتنا قيما جديدة لما يقع عليه نظرهم، فاذا كانت بيوتنا تعنى بكمية الاكل وتعطيها أكبر قيمة، وجب أن نرفع قيمة الكيفية فنضع قيمة كبرى للازهار على المائدة ولجمال الترتيب والنظام ولجمال الحديث

يجب ان نوجه ارادتنا فى ترقية الذوق كما نوجه ارادتنا لترقية العلم ولترقية النظام السياسى، ونضع للذوق برامج كالتى نضع لبرامج التعليم

إنا إن فعلنا ذلك تمخض المجتمع عن فنان ماهر، وأديب قادر.

احمد امين

حب العـــرب

فى مناجم الذهب

للعلامة الشيخ عبد القادر المغربى

عضو مجمع اللغة العربيـــة الملكى

(دَرَى) الصيـد يدريه إذا توارى عنه وما زال به حتى أمسكه. فدَرَى هذه بمعنى خَتَل. ولها أخت مشهورة بيننا: وهى (دَرَى المسألةَ) بمعنى علِمها وأدركها. وبعضهم جعل (دَرَى) هذه من بابة (دَرَى) الصيدَ، فاشترط فى دراية المسألة الوصول اليها بضربٍ من الحيلة.

ولِمَ لا أقول فى (أدرك) كما قالوه فى (دَرَى)؟ فيكون إدراك المسألة وتعقلها بعد سعيٍ وجهد. كما أن إدراك الصيد واعتقاله بعد جريٍ وجهد.

ولا تقل أيها القارئ أن (دَرَى) بمعنى (خَتَل) لا عهدَ لنا بها. بلى! فاننا نستعمل حتى فى لغة تخاطبنا أختاً لها: وهى كلمة (دَارَى) من (المفاعلة) ونريد بها أن يُلين الشخص القولَ لآخر، ويسارع الى هواه، ويتجنب سخطه، فنستعملها بمعنى المجاملة، وإن كان اشتقاقها فى الأصل يدل على معنى الخديعة والختل.

اما شاهد (دَرَى) الصيدَ بمعنى خَتَله فهو قول الشاعر:

فان كنتُ لا أدرى الظباء فاننى
أدسُّ لهـا تحت التراب الدواهيا

فالشاعر يريد بقوله (أدرى الظباء) أنه يختلها ختلاً إذا أراد اصطيادها، حتى إذا عجز عن ختلها وإمساكها باليـد، فانه يصـيدها بالفخاخ والحبائل يدسها لها تحت التراب. فالدواهى إنما أراد بها هذه الفخاخ؛ كما أن المراد بالظباء ظباء الوحش. ويبعد أن يكون أراد بها ظباء الانس: أعنى الحسان من النساء بدليل الرواية الأخرى وهى (أدسُّ لها تحت العِضاه المكاويا) و(العِضاه) شجر عظام فى البادية، تأوى اليها الظباء عند اشتداد الهجير فتقيل تحتها، وتعطو إلى أوراقها و(المكاويا) جمع مكواة: آلة الكى المعروفة، وأراد بها هنا الفخاخ نفسها.

ولكلمتى (دَرَى) و(دارى) أختان هما (ادَّرَى) الصيدَ من (الافتعال). و(تَدَرَّى) الصيدَ من (التفعّل) وكلتاهما بمعنى (خَتَل) أيضاً.

أما شاهد (ادَّرى) بتشديد الدال. فبيتٌ من الشعر كانا ينشده هكذا:

وماذا يبتغى الشعراء منى وقد جاوزتُ حدَّ الأربعين

وهو لسُحَيم بن وثيل الرياحى. وصواب الرواية:

وماذا يدَّرى الشعراء منى الخ

(يدَّرى) بتشديد الدال من (ادَّرَى) الصيد ختله حتى اصطاده. أى لا يظن الشعراء أنهم قادرون على ختـــلى وخديعتى بعد أن بلغت سنَّ الكمال والاستحصاف.

هذا شاهد (ادَّرى). أما فعل (تَدَرَّى) بتشديد الراء (من التفعُّل) فله شاهد عجب، من أنباء حب العرب، فى معادن الذهب. وهو قول شاعرهم:

(كيف ترانى أذَّرِى وأدَّرِى
غِرَّاتِ «جُمْلٍ» وتَدَرَّى غِرَرِى)

على أن هذا البيت شاهد لكل من الفعلين: (ادَّرى) (من الافتعال) و(تَدَرَّى) (من التفعُّل)

أما (اذَّرى) بالذال المعجمة فليست من معنى الختل فى شىء. وإنما هى من تذرية الحَبِّ ونحوه فى الهواء. فيذهب القشر والتراب، ويبقى الحَبُّ واللباب.

وأصل (اذَّرى) (اذترى) من الافتعال. كما أن أصل (اذَّكر) أى تذكر (إذتكر)، وثلاثيه ناقص واوى: يقال ذَرَا فلان حَبَّ بيدره. و(ذَرَّاه) من التفعيل، فاذَّرى فى بيت الشعر المذكور هو بهذا المعنى.

والفعلان الآخران (ادَّرَى) و(تَدَرَّى) بالدالين المهملتين هما بمعنى خَتَل الصيد.

وقائل البيت لم يرد أنه اذَّرى وختل ظبيةً من ظباء الوحش

وإنما كان غرضه أن يختل ظبيةً من ظباء الانس وهى (جُمْل) الحسناء. فهو يقول: قد كنتُ أنا و (جُمل) نعمل فى تحصيل الذهب وتنقيته من التراب، وكنتُ أعمل أنا فى تذريتــــه وتعريضه لهبوب الريح فيتطاير التراب والشوائب هنا وهناك، وتقع ذرّات الذهب وقطعه الصغيرة على الأرض.

أمّا (جُمل) فلها وظيفة غير وظيفتى: وظيفتها (التحصيل). فأنا (المذرّى) وهى (المحصّلة).

قال ابن فارس: أصل معنى التحصيل استخراج الذهب من حجر المعدن.

وقال علماء اللغة: (المحصّلة) كمحدّثة المرأة التى تحصّل تراب الذهب أو تراب المعدن. ومعنى تحصيله تخليص الذهب منه. والتحصيل فى الذهب كالتصويل فى الحنطة ونحوها.

وقال ابن برّى: المحصّلة هى التى تميز الذهب من الفضة.

وجميع أرباب المعاجم لم يذكروا «اسم فاعل» التحصيل إلا بصيغة المؤنث (المحصّلة) ولا يكادون يقولون (المحصل) بالتذكير، إلا على سبيل بيان الاشتقاق القياسى. أما (المحصلة) الأنثى فقد أصبح وصفاً غالباً على امرأة ذات عمل خاص بها هو تحصيل الذهب وتنقيته.

ومما يحسن التنبيه اليه أن فعل (اذّرى) التى هى بمعنى التذرية فى قول الشاعر المذكور لم يقل أحد من علماء اللغة أن المراد بها تذرية حبّ الحنطة مثلا، بل أجمعوا على أن مراد الشاعر تذرية الذهب وتنقيته من التراب فيظهر أن البيت من قصيدة حكى فيها الشاعر حادثة جرت له مع الحسناء (جُمْل) وهما يعملان فى معدن (حِلّيت) على وزان (سِكّيت) فى بلاد نجد أو غيره من مناجم جزيرة العرب التى كثر التحدث عنها فى الآونة الأخيرة.

وكما استفدنا من علماء اللغة أنّ (المحصّلات) هن المشتغلات فى المعادن، وأن (التحصيل) من أعمال النساء الخاصة بهن أو الغالبة عليهن — استفدنا ذلك أيضاً من شعراء العرب. فقد قال أحدهم:

ألا رجل جزاه الله خيراً يدلُّ على محصِّلةٍ تبيت؟

وهذه الدلالة فى مغزاها تشبه الدلالة فى قول الآخر:

يا من يدلُّ عَزَباً على عَزَب

وإذا كانت وظيفة المرأة العربيـــة فى معادن الذهب ما ذكرنا، فتكون الحسناء (جُمل) بينا هى منهمكة فى تحصيل الذهب وتخليص شذراته، كان الشاعر الذى قال: (كيف ترانى أذّرى وادّرى الخ) كان يذرّى تراب الذهب ويلاعب المذراة أو المنسف بيديه، أما عيناه فكانتا تلاعبان عينى (جُمل)؛ فكان يختل (غِرّاتها) جمع (غِرّة) أى غفلتها، فاذا غفلت رنا اليها. فيكون بذلك قد ختلها، أى خدعها مذ أوهمها أنه لا ينظر اليها مع أنه ينظر. ولم تكن (جُمل) بأقلّ كلفاً وحرصاً على مسارقة النظر، فكانت هى فى نوبتها أو فى دورها (كما يقولون) (تدّرّاه) أى تختله وتخدعه فتوهمه أنها لا تنظر اليه، ثم تتحيّن (غِرَره) جمع (غِرّة) أيضاً أى غفلته حتى اذا سنحت لها غرة من غرره نظرت اليه معجبةً أو متفرسة إن كان يصلح لها بعلاً أو لا.

ومحصّل القول أنه كان للعرب معادن ذهب يجتمعون فيها نساء ورجالا، أحرارا فى عملهم، أو مأجورين لصاحب «رأس مال» رومى أو فارسى يشغلهم على حسابه. وان النساء كان عملهن التحصيل، أى تنقية ذرّات الذهب وشذراته، بينا الرجال الأشداء كانوا يقومون بأعمال أخرى أشق من أعمالهن كالتذرية وتفتيت الصخور بالمعاول ونحو ذلك.

ويظهر من لهج شعرائهم بذكر (المحصّلات) أنه كان لهن — من تجمعهن فى ذهابهن إلى المعدن وإيابهن، أو من زيّهن وشكل لبوسهن، أو من حديثهن ونوع تظرّفهن — كان لهنّ من ذلك حالة خاصة لفتت عيون الشبان إليهن، وحملتهن على ذكرهن وتمنى معاشرتهن.

وهذا كما هو الحال فى نساء المعامل وفتيات المخازن فى أوربا اليوم.

دمشق — المغربى

الحركة القومية الارلندية

منذ نشأتها الى اليوم

للأستاذ محمد عبد الله عنان

المسألة الارلندية من أخطر وأعقد مشاكل الامبراطورية البريطانيــــة . وخطورتها اليوم تبدو بنوع خاص ، حيث تتأهب ارلنده لتحقيق الغاية التى تعمل لها منذ أحقاب . وهى التحرر من كل فروض التبعية البريطانية واعلان نفسها جمهورية حرة موحدة، وارلنده اليوم من الوجهة الدولية دولة مستقلة ذات سيادة ، ونعتها الدولى هو : « دولة ارلنده الحرة » Irish Free State ولكنها ما زالت طبق نصوص المعاهدة التى أنشأتها دولة حرة ، تدين ببعض فروض الولاء والتبعية لبريطانيا العظمى

واذا كانت ارلنده تعتبر من الوجهة الجغرافية إحدى الجزر البريطانية ، وتجاور انكلترا واسكتلنده بجاورة قوية ؛ فهى مع ذلك وحدة جنسية وتاريخية مستقلة . فالشعب الارلندى لا يمت بنسب أو صلة للشعب الانكليزى ، بل يرجع الى أصول جنسية أخرى ، وله خواصه ومميزاته وتقاليده الخاصة . وله أيضاً لغته الخاصة الجايلقية أو الارلندية القديمة التى غدت لغة رسمية لدولة ارلندة الحرة ، وعاطفة الاستقلال قديمة راسخة فى الشعب الارلندى . فمنذ القرن الحادى عشر كانت ارلنده مملكة مستقلة قوية تهدد جيرانها بالغزو والسيادة ولكن انكلترا أدركت منذ البداية خطر استقلال ارلنـــده وقوتها على استقلالها وكيانها ، وعملت الملكية الانكليزية منذ أواخر القرن الثانى عشر على فتح هذه الجزيرة القوية واستعمارها ، فغزاها هنرى الثانى وافتتحها (١١٧٢ م) وبدأ الانكليز باستعمارها ؛ وتوالت حملات ملوك انكلترا على الجزيرة الثائرة لاستقلالها . ولكن ارلنده لم تهدأ لها من ذلك الحين ثائرة . وتاريخ ارلنده حافل منذ القرن السادس عشر بأخبار هــذه الثورات القومية العديدة التى كان الشعب الارلندى يضرم لظاها من آن لآخر طلباً لحريته واستقلاله ، والتى كانت انكلترا تسحقها دائماً بمنتهى الشدة والقسوة . وكانت انكلترا تحكم ارلنـده طوال هذه القرون بيد من حديد ، ولكن لم تفلح قط فى كسب محبة الشعب الارلندى أو التأثير فى عواطفه الوطنيـــة وصرفه عن طلب استقلاله

ولما رأت السياسة الانكليزية بعد عدة قرون أن وسائل الشدة فشلت نهائيا فى حكم هذا الشعب العريق فى وطنيته واستقلاله جنحت الى نوع من اللين والمودة . وفى سنة ١٨٠٠ ، أصدرت الحكومة البريطانية قانون الاتحاد الارلندى ، وبمقتضاه اعتبرت ارلنـــده جزءاً من « المملكة المتحدة » (بريطانيا العظمى) تمثل فى البرلمان البريطانى بثمانية وعشرين عينا وأربعة اساقفة . ومائة عضو فى مجلس العموم . وتدفع ارلنده للخزينة البريطانية مبلغاً معيناً . ولها حرية التجارة ، وحرية الاحتفاظ بنظمها القضائية والتنفيذية الخاصة . وكان لهذه الخطوة أثرها فى تهدئة الشعب الارلندى . ولكن الحركة الاستقلالية لبثت قوية تتحين فرص العمل . ولم يصف قط كدر العلائق بين بريطانيا وارلنده . على أن حركة قوميـــة جديدة معتدلة ظهرت : قوامها المطالبة بالحكم الذاتى أو الحكم الداخلى لارلنده (Home Rule) وقويت هذه الحركة فى أواخر القرن التاسع عشر بقيادة الزعيم الوطنى بارنل ، وغلب هذا الاتجاه فى الحركة الوطنية الارلندية حيناً . وحاول حزب الاحرار أن ينتهز هذه الفرصة المعتدلة لتحقيق الامانى الارلندية وكسب صداقة الشعب الارلندى ، فقدم غلادستون رئيس الحكومة يومئذ الى البرلمان مشروع الحكم الذاتى الارلندى . ولكنه رفض مرتين (ســـنة ١٨٨٦ و ٩٣) ؛ وعاد الاحرار لاستئناف السعى قبيل الحرب ، فقدم مستر اسكويث رئيس الوزارة مشروع الحكم الذاتى الارلندى وصودق عليه سنة ١٩١٤ . ولكن نشوب الحرب الكبرى حال دون تنفيذه . وهنا تبدأ مرحلة جديدة فى حركة الاستقلال الارلندية

٢

وفى بداية الحرب بذل الزعماء الارلنديون وعلى رأسهم (جون ردموند) كل جهد لمعاونة بريطانيا العظمى ؛ وتطوع كثير من الارلنديين فى الجيش البريطانى . ولكن الاحقاد القومية القديمة مالبثت ان اضطرمت ، ووثبت الحركة الاستقلالية مرة أخرى ، وقامت ثورة ارلندية جديدة فى سنة ١٩١٦ — كان مدبرها حزب « السين فين » الجمهورى الذى اسس قبل ذلك بقليل ليعمل على استقلال ارلنده ، فاخمدها الانكليز بشدة ، وفى نهاية الحرب توفى جون ردموند ، فزادت علائق البلدين سوءاً واضطراباً ، وقامت

الجمعيات السرية الاستقلالية فى جميع انحاء ارلنده ، وبرز حزب السين فين فى الطليعة

وهنا نقف قليلا للتعريف بحزب السين فين هذا الذى غدا روح الحركة القومية الارلندية ، وكتب لنفسه فى سير الجهاد الوطنى صحفا خالدة . فنى سنة ١٩١٥ أسس فريق من الزعماء الارلنديين حزبا أو هيئة وطنية جمهورية باسم « السين فين » (Sin Fein) ومعناها « نحن فقط » : وغايتها تحرير ارلنده تحريراً مطلقا ، وفصلها عن بريطانيا العظمى فصلا تاما . وكان شعار هذه الحركة منذ البداية الجرأة ، والتضحية . فأعلن « السين فين » انهم « الحكومة المؤقتة للجمهورية الارلندية » وانشأوا قوة وطنية اطلق عليها « المتطوعة الارلنديون » ونظموا ثورة سنة ١٩١٦ . ولبث « السين فين » اثناء الحرب يناصبون بريطانيا العداء . ولكن انكلترا استمرت اثناء الحرب تحكم ارلنده بمنتهى الشدة ، وتطارد الحركة القومية بمنتهى العنف . ولكن دعوة « السين فين » مازالت تزداد قوة وانتشارا حتى عمت سواد الشعب الارلندى . وظهرت قوة الحركة فى انتخابات سنة ١٩١٨ إذ سقط معظم الزعماء القدماء انصار فكرة التوفيق والحكم الذاتى : وفاز السين فين فوزا باهراً . ورأت السياسة البريطانية نفسها فى مأزق حرج لأن السين فين رفضوا مشروع الحكم الذاتى بقوة وتمسكوا بالاستقلال التام ، وانشأوا « حكومة الجمهورية الارلندية » والبرلمان الارلندى الوطنى

وهنا تدخل المسألة الارلندية فى طور جديد ، وتضطر السياسة الانكليزية مرة أخرى للبحث عن سبيل لأرضاء ارلندة ، أو بعبارة أخرى لتخدير حركتها القومية . وكان الحكم يومئذ مايزال فى يد الاحرار ، وهم الذين سعوا الى حل المسألة الارلندية بمنح الحكم الذاتى لارلنده . فنى سنة ١٩٢٠ اتخذت الحكومة البريطانية برآسة لويد جورج فى المسألة الارلندية خطوتها الجديدة فاصدرت « قانون الحكومة الارلندية » بمنح الاستقلال الذاتى لارلنده الجنوبية واستثنيت ألستر أو ارلنده الشمالية لاختيارها البقاء مع بريطانيا العظمى . ولكن السين فين رفضوا هذا القانون ورفضه البرلمان الارلندى الوطنى (الديل ايران) (Dail Eireann) بقوة واضطرمت ارلنده بثورة جديدة ، وشهر السين فين على انكلترا حربا عنيفة ، ونظموا العصابات المسلحة فى انحاء ارلندة ، وتوالت حوادث الفتك والاغتيال على كبار الانكليز والموالين لهم فى ارلندة ، وابدى رجال السين فين بسالة وتضحية نادرتين . وقابل الانكليز الاعتداء بمثله وارتكبت حوادث قسوة عديدة ، وهلك من الفريقين فى تلك الحوادث عدد من الزعماء والرجال البارزين . ولم تبد الحركة الارلندية قط بمثل هذا العنف ، ورأت الحكومة البريطانية رجالها وجندها يسقطون تباعا فى ارلنده . ورأى فريق من الزعماء الارلنديين ان العنف صائر بالبلاد الى الخراب والدمار ، فاتفق الفريقان بعد نحو عام من تلك الحرب المضطرمة على عقد هدنة يحاولان خلالها التفاهم والمفاوضة ؛ فهدأت البلاد حينا ، وعقدت عدة مؤتمرات للمفاوضة بين ممثلى السين فين وممثلى انكلترا ؛ وانتهت فى ديسمبر سنة ١٩٢١ بعقد معاهدة عرفت بمعاهدة لندن : وبمقتضاها اعترفت انكلترا باستقلال ارلنده الجنوبية ومنحها نظام الدومنيون (الاملاك المستقلة) مع احتفاظ بريطانيا ببعض رسوم السيادة على ارلنده : كفرض يمين الطاعة للعرش ، وجعل استئناف الاحكام النهائى امام مجلس الملك الخاص ، وتعيين حاكم يمثل التاج . ووافق البرلمان الارلندى (الديل) على المعاهدة فى يناير سنة ١٩٢٢ ؛ ولكنها لم تصادف قبولا من الجناح الجمهورى المتطرف الذى يقوده الزعيم دى فاليرا ، فرفض المعاهدة واستقال دى فاليرا من رآسة البرلمان احتجاجا عليها ، فخلفه أرثر جريفث فى رآسة البرلمان وأتم مع زميله ميخائيل كولنس المفاوضات مع انكلترا . وعلى أثر عقد المعاهدة انسحبت القوات البريطانية من ارلندة الجنوبية ، واقيمت حكومة مؤقتة برآسة ميخائيل كولنس ، وقامت دولة ارلنده الحرة طبقا لنصوص المعاهدة . واجريت فى يونيه انتخابات جاءت باغلبية فى صف المعاهدة ، ولكن الجناح الجمهورى المتطرف لبث على موقفه يعارض المعاهدة بكل شدة ، ودب الخلاف فى صفوف « السين فين » ، وأخذ كل فريق يرمى الآخر بالمروق والخيانة ، واستعملت الحكومة الجديدة العنف فى قمع خصومها ، فرد هؤلاء بالعنف والعدوان ، واغتيل كولنس فى اغسطس وتوفى جريفيث قبله بايام ، فتولى الزعيم كوزجريف رآسة الحكومة ، وشدد على الجمهوريين ووضع الدستور الارلندى الجديد فى دائرة معاهدة لندن ؛ ونص على ان الشعب الارلندى هو مصدر جميع السلطات ، وعلى ان البرلمان قوامه الملك ومجلسان هما « الديل » ومجلس الشيوخ ، وعلى ان اللغة الارلندية (الجايلقية) هى لغة الدولة . وانشىء جيش ارلندى وطنى . وعين الزعيم الارلندى هيلى حاكما عاما (ثم خلفه الزعيم ما كنيل) ليمثل حقوق التاج

— ٣ —

استطاعت السياسة البريطانية ان تجعل من المعاهدة الارلندية اداة لتمزيق الحركة القومية الارلندية ، وشطر السين فين الى

فريقين خصيمين وفق ماقدمنا ، ولبث فريق الاغلبية وهو الجناح الذى قبل المعاهدة وعمل لتنفيذها قابضا على ناصية الحكم بزعامة مستر كوزجريف رئيس الحكومة الارلندية مدى اعوام . ولبث فريق الاقلية بزعامة مستر دى فاليرا موضع الاضطهاد والمطاردة ، وسارت دولة ارلندا الحرة فى الطريق الذى رسمته معاهدة لندن ، والتحقت بعصبة الامم منذ سنة ١٩٢٣ . ولكن حزب السين فين الجمهورى لم يفتر عزمه ولم يتحول عن سياسته، وكان الاضطهاد الذى يلاقيه من عوامل تقويته وازدياد انصاره ، وجاءت انتخابات سنة ١٩٢٧ مؤيدة لقوته ونفوذه ، فنالت الحكومة فيها أقلية ، ونال الجمهوريون اغلبية ، ولكن الرئيس كوزجريف استطاع ببعض التدابير السياسية والبرلمانية أن يحتفظ بالحكم اعواما أخر . وفى فبراير سنة ١٩٣٢ حصل الجمهوريون على اغلبية جديدة ، فانسحب كوزجريف ، واستولى الجمهوريون بزعامة دى فاليرا على الحكم ؛ وبدأ عهد جديد من النضال الرسمى بين انكلترا وارلنده هو الذى نشهده اليوم

ويجب ان نذكر كلمة عن دى فاليرا زعيم ارلنده الحالى . فقد ولد ايمون دى فاليرا سنة ١٨٨٢ فى نيويورك من اب اسبانى وأم ارلندية ، ودرس فى معاهد ارلنده ، وتخصص فى العلوم الرياضية ونال عدة اجازات جامعية ، وتولى التدريس حينا ، ثم انتظم فى الحركة الوطنية وخاض غمار السياسة ، وانضم الى حزب السين فين ، وظهر فى زعامته بسرعة ، وكان من زعماء ثورة سنة ١٩١٦ ، فأسر وقضى عليه بالاعدام وخفف الحكم الى الاشغال الشاقة المؤبدة . ثم أفرج عنه عند صدور العفو العام فى سنة ١٩١٧ وعاد فتزعم حركة السين فين واصبح قائدها ورأسها المدبر ، وانتخب رئيسا لجمهورية ارلنده ، فاعتقل ثانية ، ثم فر فى سنة ١٩١٩ الى امريكا وعاد بعد عامين الى ارلنده ، واشترك فى مفاوضات معاهدة لندن ، ولكنه لم يقبل النتائج التى انتهت اليها ؛ وشهر الخصومة على المعاهدة منذ عقدها ؛ واعلن الثورة على دولة ارلنده ، فقبض عليه فى اغسطس سنة ١٩٢٣ ، وافرج عنه بعد عام ، فعاد الى النضال السياسى ، ودخل برلمان سنة ٩٢٧ على رأس كتلة جمهورية قوية ، وتولى رياسة الحكومة الارلندية منذ اوائل سنة ١٩٣٢

وابدى دى فاليرا منذ قبض على ناصية الحكم عزمه على تنفيذ البرنامج القومى الجمهورى ، وخلاصته العمل على تحقيق الاستقلال التام لارلنده الموحدة فى ظل النظام الجمهورى ؛ والغاء كل مافرض عليها من رسوم التبعية البريطانية . ذلك لأن معاهدة لندن شطرت ارلنده الى شطرين : ارلنده الشمالية أو ألستر واعمالها ، وقد بقيت فى حوزة بريطانيا العظمى : ويبلغ سكانها مليون وربع نسمة : وتشمل اغنى بقاع ارلنده وبها أهم المراكز الصناعية وهى بروتستانتية المذهب . وارلنده الجنوبية وهى التى تناولتها المعاهدة وجعلتها دولة حرة : ويبلغ سكانها ثلاثة ملايين ؛ وهى بلد زراعى : وتسودها الكثلكة . فمعاهدة لندن تمزق الوحدة الارلندية فى الواقع . ولكن يرد على ذلك ان ارلنده الشمالية قد استعمرها الانكليز منذ بعيد وهى تود البقاء كجزء من المملكة المتحدة ، وهذا مالا يسلم به الشعب الارلندى

واما فروض التبعية البريطانية التى يراد الغاؤها فهى : (١) يمين الولاء والطاعة للتاج البريطانى (وقد الغى ، بالفعل بقانون اصدرته حكومة دى فاليرا) و (٢) استئناف احكام المحكمة الارلندية العليا الى مجلس الملك الخاص و (٣) حق الحاكم العام فى تحديد الابواب التى تنفق فيها الاموال العامة ، وحق التصديق على القوانين . واخيرا يراد الغاء الديون الزراعية التى تلزم ارلنده باداتها لانكلترا ، وتراها ارلنده ظالمة مرهقة ولا يحق اداؤها لان الاراضى التى تؤدى عنها ملك للشعب الارلندى

وقد شهدنا الفصل الأول من هذا النضال الذى تشهره اليوم ارلنده على بريطانيا العظمى حينما قدم دى فاليرا قانون الغاء يمين الطاعة الى البرلمان الارلندى ، وامتنع عن اداء الاقساط الزراعية وقام بين البلدين من جراء ذلك جدل سياسى عنيف ؛ واتخذت بريطانيا اجراءات اقتصادية شديدة ضد ارلنده : وعمد دى فاليرا الى المثل . واليوم نشهد فصلا آخر : فان دى فاليرا يريد اعلان الجمهورية فى ارلنده : وقد وجه بالفعل مذكرة رسمية بذلك الى الحكومة البريطانية يطلب فيها ايضاح موقفها فيما لو تم هذا الاجراء ، فردت عليه الحكومة البريطانية بانها لا ترى ابداء الرأى فى احتمالات لم تقع وتستبعد وقوعها لأنها تكون خرقا للمعاهدة المعقودة

ولكن دى فاليرا ماض فى طريقه ، مصر على سياسته ، وان كان كان يجد معارضة لهذه السياسة من فريق كوزجريف ، وفريق الجنرال أو — دوفى ، (القمصان الزرقاء) اذ يخشيان عواقب هذا العنف على مصاير ارلنده ومصالحها الاقتصادية ، وهذه المصالح أشد ما تكون ارتباطا ببريطانيا العظمى وتوقفا عليها

فهل ينجح دى فاليرا فى تحقيق برنامجه القومى المتطرف ، وانشاء ارلنده الجديدة مطلقة الاستقلال والحرية فى ظل النظام الجمهورى ؟ هذا ما سيكشف المستقبل القريب عنه .

ذات القميص الأزرق

أو

فتاة الريف

عيني على رمانتي صدر ! أو مهجتي يا عين لا أدري

يا للبروز أدق ماوجبـــا ! يا للحجاب أرق ماحجبا !
أفذاك غصن أثمر العجبا ؟

أم أنت يا قروية تسرى مثل النسيم على قرى مصر

هـــذا جمالك صنعة الله آه لفتنـــة سحره آه !
ياسمرة في وجهك الباهي!

سحرت عيون البيض والسمر وهفا الجميع للونك (الخمرى)

هذا قوامك يا ابنة الريف أخزى قدود الخرد الهيف
فى اسكندرية أو بنى سويف

أو فى (الزمالك) أو على الجسر والنيل تحت عيوننا يجرى

هـــذا قميصك ساذج حال لون السماء بلونه الغـــالى
عند الضحى أو فى الدجى الخالى

بنت الطبيعة أنت والدهر والشمس والجنات والنهر

أغرى قميصك فن (مختار) فبرزت فيه بثوبك العارى
يمناك توقظ ذلك الضارى

بو الهول كان كمغرق البحر فاذا بكفك طلسم السحر

ما عبقرية حسنك البادى ! شبه المهـــاة وأنت فى واد
تصحين قبل الطائر الشادى

وعلى ضفاف الترعة الخضر تردين بين عرائس الفجر

لو تعلمين لكدت تلقينا شغفاً بنفسك بين أيدينـــا
كالورد يعتنق الرياحينا

والاخت عند مغيب القبر ألقت بروعة ذلك الصدر

لكننا نهفو اليك هوى لاالطرف زاغ ولا الفؤاد غوى
ياللجوى ان كان ذاك جوى !

أو بالصون الطرف عن عهر ! حاشا لنا وحيائك العذرى

يابنت (قاسم) حيثما كنت أنت الوحيدة بنته أنت
ماعز قط سواك من بنت

لم تسفرين وانت كالبدر ؟ ! علمت حتى ربة الخـــدر

ماذا أصابك حين أسفرت ؟ جارت عليك الارض أم جرت
أم من سفورك قد تأخرت؟

أم أخرتك طبيعة الخير ؟ وغريزة فى العيش كالطير

ياأخت أين شعاعك الماضى؟ وحمية خلقت لانهاض ؟
لم يبق منها غير أنقاض

من أطفأ اللهب الذى يسرى فى الليل مثل محلق النسر ؟

أيزيس أنت وأنت نفريتى لك فى ذرا التاريخ ماشيت
ياجذوة من غير كبريت

دفنوك تحت ركائم الغمر حتى نسينا حمرة الجمر

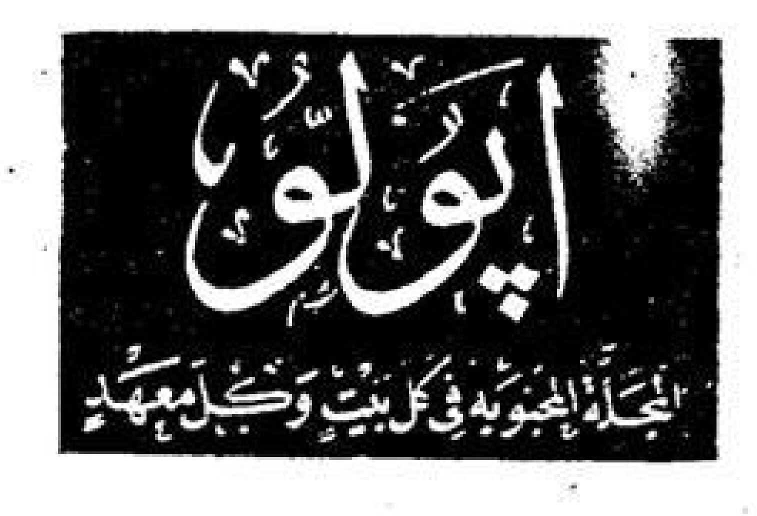
ياأخت هبى فانفضى عنك رجماً أحالك حالة الضنك
سيبث فى أرواحنا منك

فاذا أعيدت شعلة الصدر فهناك حقت ليلة القدر

كونى فتاة الغاب والاسد يابنت مصر الروح والجسد
وتضرمى فينا الى الابد

شعلاً تفك سلاسل الاسر وتنير فوق الكوخ والقصر

قليوب ابراهيم ابراهيم على المحامى



امريكا بين الحظر و الاباحة

فى اليوم الخامس من هذا الشهر ختمت فى أمريكا تلك المحاولة الخطيرة التى أطلقوا عليها بحق اسم « التجربة النبيلة » : أى محاولة تحريم الخمور فى جميع الولايات المتحـــدة بأمريكا ، والآن ونحن نشهد ختام هذه التجربة يجمل بنا ان نقف لحظة لنفكر فى أمرها ، كيف بدأت وكيف انتهت ، فاننا ونحن نعيش فى اقطار اسلامية يحرم دينها شرب الخمر ويحظر بيعها وشراءها ، لا يجوز لنا ان نمر بهذا النبأ الخطير كأنه أحد الأنباء العادية . بل يجمل بنا ان نعم النظر فيه قليلا .

ليست الولايات المتحدة دولة كسائر الدول ، بل يميزها أمور عديدة : منها حجمها الهائل ، فانها تكاد تعدل أوربا فى المساحة . وهى وحدها عالم قائم بذاته . ثم سكانها ، وهم يربون على مائة وعشرين مليونا من الناس ، أكثرهم يمت الى أصل سكسونى ، ولكن بينهم جماعات كبيرة من الاسكندناويين واللاتين والسلاف وخليط من شعوب الارض جميعا ، هذا عدا الزنوج الذين يزيدون على عشرة الملايين ، وقد جىء بهم فيما مضى عبيدا لكى يعملوا فى الحقول ، ثم أصبحوا اليوم أحرارا ، لهم من الوجهة النظرية ، ما لغيرهم من الحقوق .

ثم هنالك أمر آخر يميز نظام الحكم فى الولايات المتحدة ، وهو ان لكل من الثمانى والاربعين ولاية التى تتألف منها الدولة نصيباً كبيراً من الاستقلال الداخلى ، ولهذا كان فى الولايات المتحدة دائما سلطتان : السلطة المحلية ومركزها عاصمة كل ولاية ، والسلطة الاتحادية ومركزها واشنطون . وهى التى تدير الامور التى تهم الدولة كلها . ونظرا لحرص كل ولاية من الولايات على حقوقها واستقلالها ، فان دستور امريكا يوضح تماما ماهو داخل فى اختصاص الحكومات المحلية ، (State govt.) وما هو داخل فى اختصاص الحكومة الاتحادية (Federal govt.)

كل هذا لابد لنا من تذكره كى نستطيع ان ندرك الصعوبة التى كابدتها حكومة امريكا من أجل تنفيذ قانون التحريم . فان هذا القانون بقى حبرا على ورق ، لان معاقبة المجرمين من أجل جرائم التهريب والاتجار فى الاشياء المحرمة كان من اختصاص كل ولاية وليس من اختصاص الدولة . وهذا يفسر لنا ان مجرما خطيرا مثل آل كابونى لم تستطع الدولة أن تحاكمه من أجل الجرائم العديدة التى ارتكبها فى سبيل تجارة الخمور المحرمة ، بل حاكمته من أجل تقصيره فى دفع ضريبة الدخل . اذ كان من اختصاص الدولة ان تحاكمه من أجل هذا الجرم الخفيف نسبيا . لا من أجل الجرائم الكبرى التى هى من اختصاص الولاية .

ولا بد لنا أن نتساءل عن المؤثرات والقوى التى دفعت بالولايات المتحدة نحو التحريم ، اذ ليس من السهل أن نفهم هذا الانقلاب الهائل فى الرأى العام ، فان الامة التى نادت بالحظر الشديد فى سنة ١٩١٩ هى بعينها التى تنادى اليوم بالاباحة . ان هذا القانون لم يفرضه الحكام على الناس فرضا ، بل لقد فرضته الامة على نفسها بعد انعام النظر وطول التجربة . وقد كانت فى الولايات المتحدة قوى كثيرة تعمل بنشاط لتحريك الرأى العام وتحويله نحو التحريم . وهذه القوى كانت موجودة دائما تنتظر الفرصة الملائمة ، وكان لها تأثيرها قبل سنة ١٩١٩ . ونرى هذا واضحا فى أن أكثر من الثلاثين ولاية قد حرمت الخمر من تلقاء نفسها قبل سنة ١٩١٩ . ولكن هنالك فرق كبير بين أن يحرم الشىء فى كل ولاية على حدة ، وبين أن يحرم بقانون من الدولة ؛ ففى الحـــالة الاولى تراعى كل ولاية مصلحتها الخاصة ويسهل عليها تعديل والغاء الاحكام ، ويمكن لمن لا يرضيه قانون الولاية أن ينزح الى ولاية مجاورة (وهذا هو الحال مثلا فيما يتعلق بقانون الطلاق) . أما قانون الدولة فيفرض على جميع الولايات بمجرد موافقة ثلثيها . فيفرض على الراغبين والكارهين على حد سواء ، ويصبح كل فرد ولا مفر له من الاذعان أو العصيان ، ثم تجرد جميع قوى الدولة لتنفيذ هذا القانون بكل ما تقدر عليه الدولة من الشدة والصرامة .

ولهذا كله فان تحريم ثلاثين ولاية للخمور لم يكن له تأثير ذو شأن ، ولكن التحريم فى الدولة كلها كان حادثا ذا شأن خطير .

كان أهم الراغبين فى التحريم رجال الصناعة فى الشمال ، ورجال الزراعة فى الجنوب . فالأولون — ويمثلهم المستر هنرى فورد — قد رأوا أن الخمر تذهب بقوى العمال وتضعف صحتهم وتقلل من جهودهم ، فلا يستطيع صاحب المعمل ان يحصل من عماله على الجهود التى يرجوها فى مقابل الاجور التى يدفعها . أما أصحاب الزراعة فى الجنوب فيعتمدون فى زراعتهم على الزنوج ، وهؤلاء كانت تذهب الخمر بألبابهم وتقعدهم عن العمل ، وتتركهم فى حالة زرية . والزنجى أقل قدرة على ضبط نفسه والوقوف فى الشراب عند حد . وكان هنالك غير هؤلاء جماعات من محبى الخير الذين يكرهون الخمر لذاتها ، ويريدون أن يخلصوا الناس من شرورها ، مؤمنين بأن

فى هذا رفعا لشأن بلادهم ، وإعلاء لكلمتها ، ويمثل هذه الجماعة المستر جون ركفلر الصغير وزمرته . وقد انتشر فى الولايات المتحدة قبل التحريم نوع من الحانات أطلقوا عليه اسم الصالون (Saloon) قد أصبح على مضى الزمن بؤرة فساد وموبقات . وقد كبر بعض الناس لهذه الصالونات حتى دفعهم الى المطالبة بالتحريم . مع أن ابطال هذه الاماكن قد لا يستدعى هذا العلاج الصارم .

بذلت هذه الجماعات كلها جهوداً جبارة ومالا كثيرا من أجل استمالة الرأى العام . وساعدتهم الحرب العامة التى استدعت تحريم الخمر فى بعض الولايات ، والتقليل من شربها فى البعض . وتم لهم النصر فى يناير سنة ١٩١٩ حين حرمت الخمر فى جميع الولايات باجماع ٤٦ ولاية من الثمانى والأربعين التى تتألف منها الدولة ، وحرم بيعها وصنعها والاتجار بها واستحضارها من الخارج . وجهزت الدولة جيشا هائلا وأسطولا قويا لتنفيذ هذا القانون . الذى أعطى شكل تعديل فى الدستور وأطلق عليه اسم التعديل الثامن عشر ، ومن الغريب أن دستور الولايات المتحدة لم يعدل يوما بمثل هذا الاجماع وهذا الاقتناع وتلك الأكثريات الساحقة .

لقد وصفت الولايات المتحدة بأنها معمل هائل للتجارب الاجتماعية ، ولكن لا يعرف فى تاريخ العالم كله تجربة اجتماعية ضخمة كهذه التى أقدمت عليها أمريكا فى تلك السنة . فان المعمل الذى أجريت فيه هذه التجربة ليس بلدا صغيرا كفنلنده ؛ بل دولة مساحتها تزيد على ثلاثة الملايين من الأميال ، وسكانها يربون على المائة والعشرين مليونا مختلفى الجنس والثقافة والميول . وان البلاد الاسلامية نفسها وهى أولى من أية بلد فى العالم باجراء مثل هذه التجربة لم يعرف عنها يوما أنها حاولت بذل مثل هذا الجهد فى أى عصر من العصور من أجل تنفيذ أحكام الشريعة .

ولهذا دهش العلم كله يوم أقدمت الولايات المتحدة ، حرة مختارة ، على هذه التجربة الخطيرة . وانا اليوم ـ وقد أصبحنا عقلاء بعد ان وقعت الواقعة ـ نستطيع أن نقول إنه كان الافضل ان تترك مسألة الاباحة والتحريم الى كل ولاية تتصرف فيها بما تشاء بدلا من أن تصبح مسألة الدولة باجمعها ، ولكن فى سنة ١٩١٩ لم يكن من شك فى ان أكثرية الامة فى جانب التحريم . وقد أقدم نحو ثلاث وثلاثين ولاية على تحريم الخمر

على كل حال سارت التجربة فى طريقها اول الامر . وانظار العالم كله تتطلع الى أكبر دولة فى العالم ، وهى تحاول أكبر تجربة اجتماعية فى التاريخ . وكان الكثير من الناس يبدى عطفه على أمريكا وكأنما الكل واثق من نجاح التجربة فى النهاية برغم ماقد تلاقيه من الصعوبات ، وجعل بعض المصلحين يحلمون بأن سنة التحريم ستنتشر من الولايات المتحدة الى سائر الاقطار

ولكن كانت هنالك قوى تعمل للشر ، وان لم يتوقع أحد أن سيكون لها كل هذا الخطر ، فنهضت هذه القوى الشريرة لتنظيم الاتجار بالخمور بكافة أنواعها : مما قد يصنع خلسة فى داخل البلاد أو يستورد من الخارج . وسرعان ما أنشئت أساطيل لاعمل لها غير هذه التجارة المحرمة : واتسع نفوذ هذه الجماعات حتى أصبح لها نفوذ كبير ـ بل أحيانا النفوذ الاكبر ـ فى كل ولاية ، حتى لقد كانت لها الكلمة النافذة فى تنصيب رجال الحكم . وانتشر الاجرام بين هذه العصابات ومن يعترضها فى أعمالها ، وكذلك فيما بين العصابات المتنافسة نفسها ؛ وأصبح أمرها حديث النوادى والصحف وموضوعا للصور السينمائية ؛ وبطريق العدوى تجاوز الاجرام دائرة تجارة الخمور ، الى الاجرام فى نواح أخرى كالاختطاف والسلب والنهب وما الى ذلك .

بات من الواضح للعالم كله أن تلك التجربة الهائلة قد فشلت فشلا تاما . فان الحصول على الخمر برغم التحريم كان أمرا فى غاية السهولة . ولئن كانت الحانات القديمة (الصالونات) قد أغلقت ، فقد نشأ مكانها حانات خفية أشد خطرا وأكثر وزرا . وهذه أطلقوا عليها اسما غريبا وهو (Speakeasy) . ويؤكد اكثر الكتاب أن شرب الخمر فى زمن التحريم كان أوسع انتشارا مما كان علية قبل التحريم .

ولكن برغم فشل التجربة الذى كان واضحا لكل ذى عينين ، بقى فى الولايات المتحدة جماعات كثيرة تنادى باستمرار التحريم ، وبتشديد المراقبة والضرب على أيدى المجرمين . غير أن هذه الجماعات أخذت تضعف على مضى الزمن . حينما انتشرت فى طول البلاد وعرضها جرائم منكرة من نوع اختطاف طفل لندبرج ، فأيقن الناس أن التحريم قد أوقع البلاد فى حال من الفوضى والاختلال هى شر من الخمر التى أريد تحريمها .

ومن اكبر مظاهر التحول فى الرأى العام ، ذلك الخطاب الشهير الذى كتبه المستر جون ركفلر الصغير فى صيف سنة ١٩٣٢ يبدى فيه أسفه الشديد لانه ــ وهو من أكبر دعاة التحريم ــ مضطر الى الاعتراف بأن التجربة النبيلة قد فشلت فشلا محزنا .

وهكذا أخذ الرأى العام يتحول حتى استطاع المستر فرانكلين روزفلت أن يستميل الأمة الى صفه ، حينما أعلن فى شجاعة وصراحة أن من مبادئه الغاء التحريم . ومنذ انتخب للرآسة فى أوائل هذا العام وهو يسير بالبلاد نحو الالغاء حتى تم له فى أوائل هذا الشهر ما أراد ، بأن حصل على موافقة ست وثلاثين ولاية على الغاء التعديل الثامن عشر .

*
* *

والآن وقد انتهى التحريم ، فما عسى أن يكون المستقبل ؟

ان الذين نادوا بالغاء التحريم ، لم يفعلوا ذلك لرغبتهم فى شرب الخمر وحبهم لها ؛ بل ان اكثرهم قد فعل ذلك أملا فى أن الاباحة تقضى على تلك الشرور التى ولدها التحريم . فتنتهى بانتهائه . ولكن من الصعب أن يتنبأ المرء بشىء . فان بضع عشرة سنة تقضيها عصابات الاجرام فى نشر الاجرام والفساد فى جميع انحاء البلاد ، لا يتصور أن تنتهى آثارها فى عشية أو ضحاها . ومما لاشك فيه أن البلاد اليوم فى حال انتقال شديد الخطورة ، فقد تفيق بسرعة من تأثير هذه السنين العصيبة ، وقد تبقى تحت ظلها القاتم زمنا طويلا ، خصوصا اذا ذكرنا أن عدد الذين يشربون الخمر قد ازداد ولم ينقص اثناء التحريم . وأن الاباحة الجديدة لابد أن تؤدى زمنا ما الى الاسراف فى أمر محبوب كان ممنوعا فاصبح مباحا . ومن غير شك ان الحكومة تعزى نفسها بأنها ستجنى من الاباحة ضرائب تقدر بنحو خمسمائة مليون دولار . (أى نحو مائة مليون جنيه) .

على كل حال لايستطيع المرء أن يملك نفسه من الأسف الشديد على فشل هذه التجربة الشريفة التى لم تكن ترمى إلا الى أشرف المقاصد وأسماها وهو إعلاء شأن الانسان وإسعاده .

م ٠ ع ٠ م

تصحيح

جاء فى قصيدة (شهيدا الطيران) المنشورة فى العدد الماضى قوله : (واشهدوا الانسر تهوى للقرار والصواب للعزاء)

وقوله : (فدية لوصح فى الموت القرار) والصواب : الفداء

وحدة الوجود...

كثير من المناحى الفكرية ، والمذاهب العقليـــة ، والطرائق الرياضية ، ترمى إلى « وحدة الوجود » ، وكلها تتباين فى طرق التفكير ، ونهج الفلسفة ، ولكنها متفقة مجمعة على حقيقة واحدة ؛ تلك الحقيقة هى أنه بين غير المتناهى والمتناهى علاقة يتأدى بها الى اتحاد الطرفين

وكما اتفقت تلك الفرق فى اختلافها على هذه الحقيقة . اتفقت فى وجهة النظر التى سارت بهم على ضوء المقدمات حتى انتهت بهم الى هذه النتيجة ، فهم متحدون فى المصدر والمورد مختلفون فى الطريق الذى بينهما

فالكثرة الغالبة من فلاسفة الصوفيين فى الاسلام يعتبرون أن الحق موجود قبل كل موجود . وهذا صحيح ، ثم يقولون وقد وجدت الكائنات بعد ان لم تكن ، ولما كان غير معقول أن يوجد شىء من لا شىء لزم بالبداهة أن يكون الوجود هو عين الموجود ، وأن ليس وجود الا وجود الحق يصور أحوال ما هى عليه الكائنات ؛ فالله ظاهر فى المظاهر ، والمظاهر هو على ما هى عليه

وهذا بعينه هو ما انتهى اليه « هيرا كلت » الفيلسوف اليونانى اذ استنتج أن الكائن الالهى يتخلل صور الاشياء المتناهيـــة ، والمتناهى نفسه لا يوجد الا فى الله

وتكاد تكون عين ما وصل اليه « تولاند » أول من أطلق اسم الاتحاد فى أوربا . حيث زعم ان العالم ليس منفصلا عن الله إلا فى وهمنا فقط

وقديما تساءل الناس من اين جاءت الروح ، ومم نشأ الجسم ؟ ثم قالوا اذا كان واجب الوجود غير متناه وجب الا يوجد شىء خارجا عنه ، لان غير المتناهى يستغرق كل موجود

وإذا تقرر أن الأرض وماتتبع ليست إلا مجموعة صغيرة حقيرة من مجاميع لاعدد لها تسير بقانون فى فضاء لايتناهى

اذا تقرر هذا جاء العقل فقال إن شيئين غير متناهيين لا يوجدان معا ؛ فاذا كانت الكائنات غير متناهية ، والخالق غير متناه ، وجب أن أحدهما هو الآخر

وعلى ضوء هذا الفكر مشى العقل طفلا يحبو إلى الاتحاد ، فلما أن شب واستطاع أن يمشى على ساق الاعتقاد بافتراض الشك جرى الى المذهب ما استطاع الى ذلك سبيلا

سرى هذا المذهب الى الاسلام فى القرن الثالث ، ومشت به الفلسفة ممثلة فى اساطين الفكر ، وكبار الصوفيين ، واذ كانت الفكرة جديدة ، وكل جديد — فى الغالب الأعم — منظور إليه بنظرات الخوف والحذر — اذ كانت الفكرة كذلك لقى أصحابها الشىء الكثير من الايذاء. فقتل البعض ، ومثل به ، وربما حرقت جثث البعض وهرب البعض إما من وجوه اولئك المتفقهين ، وإما من النظرية ذاتها ، وعمد البعض الى الرمز فى الكتابة يعبر به عما يريد فى عبارة مشكلة مطاطة تلين مع التأويل والتخريج ، فخرجت فى تآليفهم كثير من المعميات ، يقول بعضهم : جلست عن ابن سبعين من وجه النهار الى آخره ، فجعل يتكلم بكلام تعقل مفرداته ، ولا تعقل مركباته . . .

وغلبت هذه الدندنة فى كتبهم الكبيرة ، فأنت اذا قرأت الفتوحات لابن عربى أو الفصوص مشيت فى سهل وحزن ، ومرت بك مآمن ومجاهل ، ومثل هذين فيما قلنا كثير من كتب رجالات التصوف القدامى

وتبدو هذه الظاهرة قوية فى اشعارهم ، لأن التربينى على البسط والايضاح الذى لا يقبله كله الشعر ، ولهذا عمدوا الى النظم فألقوا فيه بآرائهم ملفوفة رمزية لتقبل التأويل كلما حزبهم من المتفقهة حازب

لم نستطع ان نتعرف بالضبط متى نشأت ، وحدة الوجود ، إطلاقا ، ولا أين ، أما الكيفية فمنطق الصوفيين فيها أبلج . وقديما كان لوحدة الوجود أثر كبير فى الأديان القديمة ـ غالبها ـ فمست خرافات الهند القديمة اطرافها مساً رفيقا وشديدا على اختلاف الاساطير بعدا عنها وقربا منها . وذهب بعض اليونانيين القدماء إلى ان أصل العالم يجب ان يكون مادة لاوصف لها ، ولاتقبل الفناء ، وأشرنا الى قولهم ان غير المتناهى يستغرق كل موجود

وتلك هى بعينها فكرة ابن سبعين ومنطقه القائل : ان واجب الوجود كلى وممكنه جزئى ، ولا وجود للجزئى الا فى كلى ، كما لا يتحقق وجود الكلى الا بجزئياته

ولابن عربى فى الباب تسع وعشرين ومائة ، فى ترك المراقبة لاتراقب فليس فى الكون الا واحد العين ، فهو عين الوجود ويسمى فى حالة بأله ويكنى فى حالة بالبعيد

وشعر الصوفية طافح بالوحدة الوجودية منغمس فيها فى تلميح أو تصريح ، ومازال القوم يرددون قول الغزالى ـ أو ماقيل انه قاله ، ليس فى الامكان أبدع مما كان ، وقالوا ـ بعيدا عن التأويل ـ نعم . لأن المخلوق صورة الخالق وليس أكمل منه تعالى

ووقف لهم جماعة بالمرصاد توفروا على تفنيد اقوالهم ، ومناقشة آرائهم ، ثم التشهير بهم ، والنيل منهم ، وهذا ابن تيمية يعلن عليهم فى الفتاوى حربا شعواء . وقديما قال ، ماأظن الله يغفل عن المأمون لاباحته الفلسفة ، ! ! ،

عرج قوم بالفلسفة فى أيام العباسيين على الدين وحاولوا أن يوفقوا بينهما ، فرجعوا يحملون عبء الهزيمة ثقيلا ، ومشت وراءهم الحكمة القائلة (سلم وانت أعمى) تلوح لهم ظافرة بهم ، ظاهرة عليهم

وجاء صاحب جلاء العين فكان كابن تيمية فيما أراد وقال ، ثم جاء صالح المقبلى فى كتابه العلم الشامخ فسخر بهم ، وفسق كلامهم ، وعراه عن الحقيقة ، وامتدت كلماته اليهم فاصابت منهم مقاتل

أعيا المتصوفون أمرهم فقام الجيلى يقول : ، صح لنا هذا كشفا فمن شاء فليؤمن . ومن شاء فليكفر ،

وبدهى ان دعوة الجيلى هذه كاذبة ، وألا فما هذا المنطق يقدمونه بين يدى كل قضية ؟ وماهذه المقدمات التى تتكىء عليها النتائج ؟

على أنهم لم يعدموا نصراء يدافعون عنهم ويدفعون ، وهذا القزوينى يعقد فى كتابه ، درر الفرائد ، بابا فى ذكر مصطلحات القوم . قال : أتطمعون فى فهم كلامهم وهو انما يعرف بالذوق لا بالمنطق ؟ ، من ذاق طعم شراب القوم يعرفه . . . ، ثم أخذ يفسر رموزهم ، ويستدل عليها فناقض نفسه .

ويقول غلاة المنتصرين : إذا ظهر كلام الصوفية خارجا عن ظاهر الشريعة فهو مقول فى حال سكرهم ، والسكران سكرا مباحا غير مؤاخذ ؛ فان لم يكن كذلك فلا بد أن يكون له تأويل ظاهر ، فان لم يكن فله تأويل باطن لا يعلمه إلا الله والراسخون .

فأنت ترى أنهم يريدون أن يبرئوهم — إذا كان هناك جرما — على أى حال ، ومهما كانوا ، ولنا عليهم أن نقول لو كان كلام الصوفيين موافقا للشريعة الظاهرة ففيم الرمز وفيم الابهام ؟

وبعد ، فهذا مذهب وحدة الوجود فى أظهر مناحيه ، ولعلى مستطيع أن أعود اليه فيما بعد ؟

طاهر محمد أبو فاشا

١٠٦٠

الشافعى واضع علم اصول الفقه

للاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق

أستـــاذ الفلسفة الاسلامية بكلية الآداب

— ٢ —

والمروى عن الشافعى : انه قال : انه حمل الى مكة وهو ابن سنتين من غزة أو عسقلان

وفى كتاب « معجم الادباء » لياقوت : وفى رواية ان الشافعى قال : ولدت باليمن فخافت امى على الضيعة فحملتنى الى مكة وانا يومئذ ابن عشر أو شبيه ذلك . وتأول بعضهم قوله « باليمن » بارض اهلها وسكانها قبائل اليمن ، وبلاد غزة وعسقلان كلها من قبائل اليمن وبطونها

قلت : وهذا عندى تأويل حسن ان صحت الرواية والا فلا شك انه ولد بغزة وانتقل الى عسقلان الى ان ترعرع ، ج ٦ ص ٣١٨

ويقول ابن حجر فى توالى التأسيس ص ٤٩ : « والذى يجمع الأقوال أنه ولد بغزة عسقلان ، ولما بلغ سنتين حولته أمه الى الحجاز ودخلت به الى قومها وهم من أهل اليمن ، لانها كانت أزدية ، فنزلت عندهم ، فلما بلغ عشراً خافت على نسبه الشريف ان ينسى ويضيع فحولته الى مكة »

وليس من رأيى التوفيق بين الروايات المتضاربة قويها وضعيفها على هذا الوجه ، فتلك طريقة ليست من التمحيص التاريخى فى شىء ، بل يجب تخير الروايات الصحيحة السند التى يرجحها ما يحف بها من القرائن والذى تدل عليه الروايات الراجحة أن الشافعى ولد بغزة ومات فيها ابوه كما مات بها من قبل هاشم جد النبى عليه السلام . ثم حملته امه الى عسقلان وهى من غزة على فرسخين أو أقل . وكان يرابط بها المسلمون لحراسة الثغر منها . وكان يقال لها « عروس الشام » وفى كتاب « أحسن التقاسيم » للمقدسى المعروف بالبشارى : « ان خيرها دافق ، والعيش بها رافق »

وكل هذه الاعتبارات جديرة بأن تجعل الأيم الفقيرة تختارها سكنا لها ولطفلها اليتيم الغريب

فلما بلغ الطفل سنتين وترعرع وأصبح يحتمل السفر حملته أمه الى مكة لينشأ بين قومه من قريش ، ولعلها كانت تريد أن تستعين على تكاليف العيش بما ينال الطفل من سهم ذوى القربى باعتباره مطلبيا (١)

على ان حظ الطفل من خمس الغنائم لم يكن ليرفه من عيشه فنشأ فى قلة من العيش وضيق حال . قال الرازى :

« وذكروا ان الشافعى رضى الله عنه كان فى اول الزمان فقيرا ، ولما سلموه الى المكتب ما كانوا يجدون أجرة المعلم ، وكان المعلم يقصر فى التعليم الا أن المعلم كلما علم صبيا شيئا كان الشافعى رضى الله عنـــه يتلقف ذلك الكلام ، ثم اذا قام المعلم من مكانه أخذ الشافعى رضى الله عنه يعلم الصبيان تلك الاشياء ؛ فنظر المعلم فرأى الشافعى رضى الله عنه يكفيه من أمر الصبيان

---

(١) ويظهر : أن أم الشافعى كانت ترى أن تنشئه على الاعتزاز بنسبه والشعور بقوميته ، وقد نشأ الشافعي غير خلو من هذه النزعة حتى لقد اتهم « بالتشيع » . ويقول صاحب الفهرست : وكان الشافعي شديدا في التشيع ، وذكر له رجل مسألة فأجاب فيها ، فقال له : خالفت علي بن أبي طالب (ض) فقال له : اثبت لى هذا عن على بن أبي طالب حتي أضع خدى على التراب وأقول قد أخطأت وأرجع عن قولى الى قوله . وحضر ذات يوم مجلسا فيه بعض الطالبيين فقال : لا أتكلم في مجلس بحضرة أحدهم وهم أحق بالكلام ولهم الرياسة والفضل ص ٢٧٩

وذكر ابن حجر في رواية أن الشافعي كان يقول : علي بن أبي طالب ابن عمي وابن خالتي ، فأشار الشافعى بذلك الي أن أم جده الاعلي السائب بن عبيد « الشفاء » بنت الارقم بن هاشم بن عبد مناف وأمها « خلدة » بنت أسد بن هاشم اخت « فاطمة » بنت أسد والدة على ، ففاطمة أم علي بن أبي طالب خالة لاحدي جدات الشافعي ، فأطلق عليها خالته مجازا (ص) ٤٦

وفى كتاب الانتقاء لابن عبد البر : « قيل للشافعى ان فيك بعض التشيع قال وكيف ؟ قالوا ذلك لانك تظهر حب آل محمد ، فقال ياقوم ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين) وقال : (ان أوليائى من عترتى المتقون) فاذا كان واجبا على أن أحب قرابتى وذوى رحمى اذا كانوا من المتقين أليس من الدين أن أحب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كانوا من المتقين ، لانه كان يحب قرابته وابنه ، وله أبيات منها :

(ان كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان انى رافضى) ص ٩١

ونقل الرازى : أن رجلا قال لابن حنبل : يا أبا عبد الله أن يحيى بن معين وأبا عبيدة ينسبان الشافعى الى التشيع فقال احمد : لا أدرى ما يقولان والله ما رأينا منه الا خيراً ثم قال لمن حوله : اعلموا : أن الرجل من أهل العلم اذا منحه الله تعالى شيئا وحرم قرناءه وأشكاله حسدوه فرموه بما ليس فيه وبئست هذه الخصلة فى أهل العلم . ص ٣٤

واذا صح أن الشافعى كان لا يخلو من تشيع فهو لم يكن مسرفا ولا متعصبا وليس أدل على ذلك من أن زوجته كانت عثمانية

أكثر من الاجرة التى يطمع بها منه ، فترك طلب الاجرة واستمرت هذه الاحوال حتى تعلم القرآن كله لسبع سنين » ص ١٥ و١٦ (١)

ويروى عن الشافعى : أنه كان يحـــدث عن طفولته فيقول : « وكانت نهمتى فى شيئين : فى الرمى ، وطلب العلم . فنلت من الرمى حتى كنت أصيب من عشرة عشرة . وفى رواية من عشرة تسعة ، وسكت عن العلم ، فقال له بعض من كان يستمع اليه : أنت والله فى العلم أكثر منك فى الرمى

ويروى عنه أيضا : أنه قال : كنت ألزم الرمى حتى كان الطبيب يقول لى : « أخاف أن يصيبك السل من كثرة وقوفك فى الحر » تاريخ بغداد ج ٦ ص ٥٩ ، ٦٠

ويظهر : أن حب الرماية لم ينزعه من بين جوانب الشافعى جلال السن وجلال الامامة

« عن المزنى قال : كنت عند الشافعى فمر بهدف ، فاذا رجل يرمى بقوس عربية ، فوقف عليه الشافعى وكان حسن الرمى فأصاب سهاما ، فقال له الشافعى : أحسنت ، وبرك عليه ، قال لى : مامعك ؟ فقلت : ثلاثة دنانير ، فقال : « أعطه إياها واعذرنى إذ لم يحضرنى غيرها » — توالى التأسيس — ص ٦٧ (٢)

---

(١) قد كان الشافعى يجيد حفظ القرآن ويكثر من تلاوته وتدبره ، وروى عن الربيع أن الشافعى كان يختم القرآن فى كل شهر ثلاثين ختمة . وفى شهر رمضان ستين ختمة : ختمة بالليل وختمة بالنهار . الرازى ص ١٢٤

ويروى أنه كان يقرئ الناس فى المسجد الحرام وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وكان حسن الصوت فى القراءة . وأخرج ابن عدى من طريق احمد بن صالح قال : كان الشافعى اذا تكلم كأن صوته صنج أو جرس من حسن صوته ، وأخرج الحاكم من طريق بحر بن نصير قال : كنا إذا أردنا أن نبكى قال لنا اذهبوا قوموا الى هذا الفتى المطلبى الذى يقرأ القرآن ، فاذا أتيناه استفتح القرآن حتى يتساقط الناس بين يديه ويكثر عجيجهم بالبكا . من حسن صوته ، فاذا رأى ذلك أمسك .

وكان واسع العلم بالتفسير حتى قال يونس بن عبد الاعلى : كان الشافعى إذا أخذ فى التفسير كأنه شاهد التنزيل ، وكان الشافعى يقول : نظرت بين دفتى المصحف فعرفت مراد الله تعالى من جميع مافيه إلا حرفين أشكلا على ، قال الراوى : الاول نسيته ، والثانى قوله تعالى : « وقد خاب من دساها » قال فانى لم أجده فى كلام العرب ، ثم قرأت لمقاتل ابن سليمان قال : أنه لغة السودان فان « دساها » أغواها . الرازى ص ١٢٤ ، ١٢٥ وابن حجر ص ٦٠ .

(٢) ويظهر ان الشافعي كان يعرف جياد الخيل ، ولعله كان من فرسانها . وفي كتاب « مفتاح السعادة » لطاش كبرى زاده المتوفي سنة ٩٦٢ هـ « روى عن الشافعي انه قال : رأيت على باب مالك كراعا من افراس خراسان وبغال مصر ما رأيت أحسن منه ، فقلت له : ما أحسنه ! فقال : هو هدية منى اليك يا أبا عبد الله قلت : دع لنفسك منها دابة تركبها ، فقال : انا استحي من الله تعالى ان أطأ تربة فيها رسول الله صلعم بحافر دابة ، ولم ير مالك راكبا بالمدينة قط ج ٢ ص ٨٧ .

قال الشافعى : « لما ختمت القرآن دخلت المسجد اجالس العلماء وأحفظ الحديث والمسألة ، وكان منزلنا بمكة فى شعب الخيف ، وكنت فقيرا بحيث ما أملك ما اشترى به القراطيس ، فكنت آخذ العظم أكتب فيه وأستوهب الظهور من أهل الديوان وأكتب فيها » — الرازى ص ١٦ (يتبع)

وكان الشافعى متأثراً في خلقه وفى خلقه بالرياضة البدنية التى شغف بها منذ الصغر ، فكان جسمه جسم الرياضيين وكان خلقه خلق الرياضيين : ذكر زين الدين عمر بن الوردى ان ابن الصلاح نعت الشافعي لبعض ملوك الشام فقال : كان رضى الله عنه وجزاه الخير طويلا سائل الخدين قليل لحم الوجه طويل العنق طويل القصب أسمر خفيف العارضين يخضب لحيته بالحناء حمراء قانية حسن الصوت حسن السمت عظيم العقل حسن الوجه حسن الخلق مهيبا فصيحا من أذرب الناس لسانا اذا أخرج لسانه بلغ أنفه ج ١ ص ٢١٥

ويظهر ان الشافعى كان لايحب السمن ولايحسن ظنه في أهله ويروى : انه كان يقول : ما أفلح سمين الا محمد بن الحسن . وتلك مقالة رجل رياضي .

ومن اخلاق الرياضيين العزة والاحتمال والقصد والبر والصيانة وقد كان الشافعي عزيزا صبورا مقتصدا خيرا

وروى عن الربيع أنه قال ، قال عبد الله بن عبد الحكم للشافعي اذا اردت ان تسكن البلد يعنى مصر ، فليكن لك قوت سنة ومجلس من السلطان تتعزز به ، فقال له الشافعي يا أبا محمد من لم تعزه التقوى فلا عز له . ولقد ولدت بغزة وربيت بالحجاز وما عندنا قوت ليلة وما بتنا جياعا قط

ومما يتصل بذلك ما روى ان الربيع سئل كيف كان لباس الشافعي ؟ قال : كان مقتصدا فيه : يلبس الثياب الرفيعة من الكتان والقطن البغدادي ، وكان ربما لبس قلنسوة ليست مشرفة جدا ويلبس كثيرا العمامة والخف ، وكان لا يأتي عليه يوم لا يتصدق ، ويتصدق بالليل ولا سيما في رمضان ، ويتفقد الفقراء والضعفاء . ابن حجر ص ٦٧ ، ٦٨

وكان شيوخ مكة يصفون الشافعى من اول صغره بالذكاء والعقل والصيانة ، ويقولون لم نعرف له صغيرة . كتاب مرآة الجنان ج ٢ ص ٢١

ابيات للمنفلوطى

كان المرحوم السيد مصطفى لطفى المنفلوطى يجلس فى جمع من اصدقائه منهم : المرحوم حافظ ابراهيم وامام العبد والشيخ الكاظمى والشيخ منصور ، وكان هذا الشيخ من أشهر لاعبى الشطرنج لايكاد يبزه أحد وكان مجلسهم فى مقهى (كتكوت) (يحى الحسين)

فحدث يوما أن تغلب غلام فى الرابعة عشرة من عمره على الشيخ منصور فكانت هـذه الحادثة موضوع تنادر الجماعة مدة طويلة وقد قال كل منهم فيها شعراً فمما قاله المنفلوطى هذه الأبيات :

وظبى سقيم الطرف حلو مُهفهفٍ * تُميت وتُحيى كيفما شاءَ عيناهُ
يداعب فى الشّطْرَنج كلَّ ملاعبٍ * فلا ينثنى إلا وقد قتل الشاهُ
فوالله ما يدرى الحروبَ وإنما * رماه بسهمَى مقلتَيهِ فأرداهُ

الطبيعة فى شعر ابن خفاجة

— ٣ —

وصف الآلات والادوات :— كان علينا أن ننتقل بك فى هذا الفصل الى وصف الخمر ووصف مجالسها فى شعر ابن خفاجة، وأن نريك الطبيعة الماثلة فى ذلك النوع من الشعر؛ ولكنا رأينا أن نذكر شيئا عن تشبيهه الآلات والأدوات، ووصفه للخيل والذئاب، قبل أن نذكر لك شيئا من أقواله فى الخمر، ومن تشبيهه إياها، خوفا عليك من أن تنتشى وتطرب فلا تعود تصغى الينا.

وهو فى وصفه السيف والرمح والقوس والكأس والزورق، وفى وصفه للفرس الأشقر، والكلب والأرنب، لا يخرج فى كل هذا عن الطبيعة فى شىء، ولا يشبه تلك الأدوات إلا بما يماثلها فى الطبيعة. فيقول فى السيف:

ومرهف كلسان النار منصلت يشفى من النار أو ينفى من العار

فهو يشبهه بلسان النار الملتمع. ثم يقول:

تخال شعلة نار منه طائرة فى عارض من عجاج الخيل موار
يمضى فيهوى وراء النقع ملتهباً كما تصوب يجرى كوكب سار

وهو يشبه قول بشار:

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ويقول أيضاً فى وصف كأس أهديت اليه:

ومثلك مد يمين الندى بعلق يطيل عنان النظر
بازرق سالت به صفرة كما طرز البرق ثوب السحر

يقول إنه كأس ازرق قد سالت به صفرة فبدا كسماء ابرقت فى ليل مظلم

ويقول كذلك فى الرمح:

وأسمر يلحظ عن ازرق كأنه كوكب رجم وقد
يعتمد العين اعتماد الكرى وينتحى القلب انتحاء الكمد

فان السمرة والزرقة وكواكب الرجم المتوقدة والكرى والكمد كلها صور لأشياء طبيعية، شبه بها عود الرمح الاسمر، وسنانه الأزرق، ولمعانه وقت الطعن

وأجمل ماقاله فى وصف الآلة وصفه القوس فهو يقول:

عوجاء تعطف ثم ترسل تارة فكأنما هى حية تنساب
واذا انحنت والهم منها خارج فهى الهلال انقض منه شهاب

فلم يخرج فى تشبيهها ووصفها عن حيوان الطبيعة وعن افلاكها.

ويقول فى صفة كلب وارنب:

واطلس ملء جانحتيه خوف لأشوس ملء شدقيه سلاح

فهو يشبه الارنب الهاربة امام الكلب بالذئب للتشابه الموجود بين لونيهما، وللتشابه الموجود بين حاليهما، لأن الذئب يهرب من وجه الكلب، ويعبر عن الكلب بالأشوس، وهى حال ضم الجفنين للتحديق والنظر، ويشبه انيابه التى كشر عنها بالاسلحة التى يحملها الصياد.

ويقول فى صفة فرس اشقر عليه حلى لألاءة:

بسام ثغر الحلى تحسب انه كأس اثار بها المزاج حبابا

فهو يشبهه بكأس من الخمر قد مزجت بالماء فبدت صفراء اللون وطفا عليها حباب ابيض

واقرأ هذه المقطوعة فى وصف نزهة ركب اليها زورقا:

وانساب بى نهر يعب وزورق فتحملتنى عقرب وحباب
نجلو من الدنيا عروسا بيننا حسناء ترشف والمدام رضاب
ثم ارتحلت وللسماء ذؤابة شهباء تخضب والظلام خضاب
تلوى معاطف الصبابة والصبا والليل دون الكاشحين حجاب
حيث استقل الجسر فوق زوارق نسقت كما تتراكب الاحباب
لم تستبق وكأنها مصطفة دهم تنازعك السباق عراب

فقد شبه اولا الزورق الادهم بالعقرب لانحناء مقدمه الى الاعلى، وانحناء متوسطه الى الاسفل، وشبه ماء النهر الثائر المائج المزبد بالحباب. ثم شبه ثانية اصطفاف الزوارق باصطفاف الخيل العراب للسباق:

الى هنا انتهى كلامنا عن وصف ابن خفاجة للآلات والأدوات، وقد اريناك تشبيهاته واوصافه التى اتى بها ولم يخرج فيها عن حبيبته الطبيعة التى يرى بها كل ما فى الوجود، وكأنه لايرى فى الحياة الا الطبيعة، فلا يتكلم الا عنها ولايشبه الا بها.

فان كان البحترى قد أثر فيه حب علوة الحلبية فقال الشعر الغنائى الرقيق، ورسم الصور الشعرية الجميلة، واخذ فى كل هذا على نفسه ألا يبوح باسمها

وسميتها من خشية الناس زينبا وكم سترت حبا عن الناس زينب

فان ابن خفاجة اثرت فيه الطبيعة فهام بها وأحبها حتى كان يذكرها فى شعره واصفاً او متغزلا، صاحياً او نشوان.

وكأنه وهو نشوان اقدر على وصف الطبيعة والتشبيه بها، او كأن حبه لها يهيج فيه قريحته الشعرية حين يجلس الى الشراب

ثم لا يرى بدأ من ذكرها لأنه مفتون بجمالها مسحور بمناظرها .

أقوال فى الخمر : — يصف ابن خفاجة الخمر ويصف كؤوسها ويشبهها فيتفنن فى التشبيه والوصف، فاذا اردنا ان نقايس بينه وبين ابى نواس فى وصفها ، فهو بلا شك دون منزلة ابى نواس . لان ابا نواس يقصد الى الخمر قصداً فينشىء القصيدة على ذكرها ويجعلها موضوعا من الموضوعات الشعرية ؛ ولكن ابن خفاجة فى مقطوعاته التى يذكر فيها الخمر يجعلها احد المواضيع التى ينشىء فيها المقطوعة . فأكثر مقطوعاته الخمرية ينشئها على ذكر نزهة جميلة مع اخوان صدق فى ظلال الادواح يشربون ويسمرون ؛ او على ذكر مجلس اخوان واصدقاء يقرضون الشعر ويصفون فيه مجلسهم واعتكافهم على الخمر ؛ أو يصف الخمر أثناء تغزله ؛ وفى كل مقطوعة من مقطوعاته التى فيها للخمر ذكر لا نرى الا البيت والبيتين . قال من وصف يوم أنس وفكاهة :

وجاء بها حمراء اما زجاجها   فماء ؛ وأما ملؤه فلهيب

فهو يقول : انها خمرة حمراء كأنها لهيب النار المتوقدة فى كأس كأنه الماء صفاء وشفافية :

ويصف الخمر بيد حبيب له فيقول :

مشمولة بينا ترى فى كفه   ماء ، ترى فى خده الهوبا

فهو يقول : انها باردة الطعم لهبوب الشمال عليها كأنها الماء صفاء ، وانه محمر الخدين كأنهما لهيب نار مستعرة ، وقال أيضاً :

لجـاءت بحمراء وقادة   تلهب فى كأسها كوكبا

فقد شبهها بالكوكب المتوقد وهو يشبه قول ابى نواس :

اذا عب فيها شارب القوم خلته   يقبل فى داج من الليل كوكبا

ويشبهها بالفرس الأشقر فيقول :

وقد جال من كاس السلافة أشقر   يسابقه من جدول الماء أشهب

ويقول فى وصفها أيضاً وهو يتغزل :

حيا بها ونسيمها كنسيمه   فشربتها من كفه فى دره
منساغة ، فكأنها من ريقه   محمرة ، فكأنها من خده

الى هنا لا نرى فى وصف ابن خفاجة الخمر وفى تشبيهه أياها شيئاً يخرج عن الطبيعة : فقد شبهها بلهيب النار المشتعلة وشبه كأسها بالماء الصافى الرائق ، ثم شبهها بالكوكب المتوقد ؛ ثم شبهها بالفرس الأشقر للونها الأشقر ، ثم شبهها وقال انها منساغة فكأنها من ريق الحبيب الخصر العذب ، وأنها حمراء كأنما قد عصرت من خده الوردى .

وأقرأ هذه المقطوعة يداعب بها الساقى الاسود ، وانظر كيف يصف الخمر الحمراء والكؤوس البيضاء ، ثم ينبرى فيصف لنا المكان الذى جلسوا به ؛ والوقت الذى شربوا فيه ، ولاحظ اذا شئت تشبيهاته واوصافه التى لا يخرج بها عن مناظر الطبيعة وعن أوصافها :

رب ابن ليل سقانا   والشمس تطلع غره
فظل يسود لونا   والكأس تسطع حمره
كأنه كيس فحم   قد أوقدت فيه جمره

الى أن يقول :

فظلت آخذ ياقو   ته واصرف دره
حتى تثنيت غصنا   وأصفرت الشمس نفره
وارتد للشمس طرف   به من السقم حسره
يجول للغيم كحل   فيه وللقطر عبره

فهو يقول : إن عبداً اسود قام يسقينا منذ طلوع الشمس ، وكأنه وهو يدير علينا الخمر فى كؤوسها الحمراء كيس من فحم قد أوقدت فيه جمرة ملتهبة . وظللت على هذه الحال أتناول الكأس مملوءة حمراء كالياقوتة وأعيدها فارغة بيضاء كالدرة ؛ حتى تثنيت من شدة السكر كالغصن تثنيه الرياح ؛ وحتى اصفر لون الشمس وارتد طرفها الى الغروب كما يرتد طرف الناعس من النعاس ، وكانت الغمامة ذكناء كأن بها كحل كاحل ؛ وكانت ممطرة كأنها عين باك مستعبر .

وقال ايضا يصف متفرجا . ويصف فى اثناء ذلك الخمر :

ومجر ذيل غمامة قد نمقت   وشى الربيع به يد الانواء
ألقيت أرحلنا هناك بقبة   مضروبة من سرحة غناء
وقسمت طرف العين بين رباوة   مخضرة وقرارة زرقاء
وشربتها عذراء تحسب أنها   معصورة من وجنتى عذراء
حمراء صافية تطيب بنفسها   وغنائها وخلائق الندماء

يتبع   أدلب   عبد الرحمن جبير

مِنْ طرائف الشِّعر

وداع

للشاعر الوجدانى الرقيق أحمد رامى

أيها الفُلك على وشك الرحيل ... إن لى فى ركبك السارى خليل
رقرقت عيناى لمَّا ... قال لى حان الوداع
وبكى قلبىَ مِمَّا ... ذاع فى الكون وشاع
غابت الشمس وراء الأفق ... ثم ذابت فى مسيل الشفق
لهف نفسى! كاد يخبو رمقى
حين حيَّانى حبيبى ... وتبادلنا الوداع
وانطوى منه نصيبى ... عند تصفيق الشراع

***

أيها الفلك على وشك المغيب ... قف، تمهل! إن لى فيك حبيب
لا أذوق النوم حتى نلتقى ... والضحى يغمر وجه المشرق
فأحيِّيه بقلب شيِّق
شارحاً وجدى شاكياً سهدى ... فى الدجى وحدى
وأناجيه بحبِّى ... بين ضمٍّ واعتناق
ناسياً آلام قلبى ... طول أيام الفراق

الشعر والشاعر

للدكتور عبد الوهاب عزام

سيدى صاحب الرسالة .

خطرت لى خطرة من الشعر فى احدى الليالى منذ سبع سنين فأخذت القلم وكتبت الأبيات الآتية ؛ ثم ألقيتها بين أوراق .وكنت أقلب أوراقا منسية منذ أيام فعثرت عليها ، وتذكرت اذ ذاك قوله تعالى : « واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت » . فأردت أن أحمل صاحب الرساله تبعتها فأرسلتها اليه ؛ وله الخيار أن يئدها كما كانت؛ أو ينشرها :

هو وحىٌ فى شعاع القمر ... يملأ القلب ضياء وسلاما
أو حديثٌ فى حفيف الشجر ... أفشت الريح له سراً فهاما
أو بكاء فى حنين الوتر ... ملأ الأنفس وجداً وغراما
هو طل الفجر فوق الزهَر ... يملأ الروض دموعا وابتساما
ثم يبدو مثل قدح الشرر ... بين خفق القلب والهم صداما
أو تراه كالوصايا العشر ... بين ومض البرق والرعد كلاما

***

ذلك الشعر اذا ما ترجما ... عن خفايا وحيه اللفظُ المبين
رب شعر وحيه قد كُتما ... أبلغ الاشعار ما لا يستبين

***

يخلق الشاعر خلقاً آخراً ... من خيال حائر فيه المدى
يجعل الليل غراباً طائراً ... خاف نسر الصبح لما أن غدا
ويرى النجم شريداً حائراً ... هام يبغى فى الدياجى موردا
ويفيق الناس عنه ثائراً ... فيرى القصة خلقاً مسعِداً
يبرأ الابطالَ فيها ساحراً ... فتراهم فى البرايا خُلَّدا
مثلا فى البر يبقى سائراً ... أو حليف اللعن يبقى أبدا

***

كم هدى الشاعر قبلا أمما ... وحدا فيها الى العز المكين
وبنى للمجد فيهم سلَّما ... فاستقاموا المعالى صاعدين

***

وجه من يهواه روض ناضر ... أُلقِّفتْ فيه من السحر معانى
ومن الطرة ليلٌ كافر ... ضُلِّلت فيه دموع وأمانى
دولة الحسن، عليها ساهر ... نابل من طرفه والحاجبان
ومن البحر جحيم ساجر ... ومن الوصل فراديس الجنان
غضبة الشاعر ليل زافر ... جلل الأرض بنار ودخان
ورضا الشاعر صبح سافر ... ملأ الأرض بنور وأمان

***

يصبغ العالم ما شاء كما ... لعبت باللون أيدى الراسمين
فاذا شاء أراه مأتما ... واذا شاء فعُرس الفرحين

***

ويلف السحب من نيرانها ... فى إهاب الغيظ والحقد المكين
ويسل البرق من اجفانها ... سيف ثأر مُصلَتًا للظالمين
ويقود المزن من أرسانها ... بيد الريح شمالا أو يمين
ويعد الرعد من تحنانها ... حين يروى الارض بالغيث الهتون
أو يرى فيه صدى طغيانها ... ردَّدته رهبة للسامعين

ويقيم الطير فى افنانها   شاديات باكيات كل حين

ooo

ويرى النهر دموعا ودما   من عراك الدهر والقلب الحزين
أو يرى الصفحة سرا محكما   نسجته الريح بين الناسجين

ooo

ويرى الورد ضحوكا طربا   اذ تحليه من الطل درر
فاذا (١) الورد ذوى واكتأبا   واذا الطل هو الدمع انتثر
ويرى البانة قدا معجبا   ماس فى الروض دلالا وخطر
ويرى الجدول صلا هاربا   فى ظلال الأيك اعياه الوزر
ويظن الريح دارت لعبا   فى ذرى الأشجار تلهو بالطرر
ويخال الطير غنى مطربا   يقرأ الحسن بصفحات الزهر

ooo

ضاق هذا العيش الا حلما   راق فى الاهوال نوم الكادحين
تضحك الآمال فيه كلما   ابكت الآلام عيش البائسين

ooo

صاح والشاعر فى نظراته   يخرق الستر الى سر الضمير
فيرى الآمال فى طياته   ودبيب الحزن فيه والسرور
يكشف المحزون فى اناته   اذ يراه الناس فى ثوب الحبور
ويجلى الخب عن سوءاته   وجميع الناس منه فى غرور
ويرى المحسن فى هيئاته   حين يخفى فضله كل كفور
فشعاع الشعر فى وهجاته   كاشف للناس عن ذات الصدور

ooo

يقرأ الشاعر ماقد ابهما   فى ضمير الدهر آلاف السنين
ويرى الغائب مشهودا كما   يبصر الهدهد بالماء المعين

ooo

أو تراه مثل باز مدمر   ملأ الدوح صياحا وصيالا
يجهد الشاعر طول العمر   فيرى الآمال يأسا ومحالا
فتراه مثل ليث هيصر   عض فى الاسر قيودا وحبالا
او تراه كحمام هدر   رتل الحزن نشيدا فأطالا
ثم يلهو بجمال الزهر   فكأن فى الصدر غما ووبالا
فتراه عندليب الشجر   واصفا فى الروض حسنا وجمالا

ooo

صاح ما الشعر سبيلا ، أنما   هو صهر القلب فى نار الشجون
صاح ما الشعر كلاما ، انما   هو ذوب النفس أو ماء العيون

(٢) اذا للمفاجأة

فى سينما الحياة

للاستاذ الشيخ ابراهيم الدباغ

ليس المعين على بغى بمشكور   ولا القوى على ظلم بمنصور
قل للألى ضربوا من حكمة مثلا   للقوم والقوم عند الافك والزور
تغاير الناس فى سعى لمهلكة   وما لهم من حذار عند تحذير
انى اراهم وقد انذرتهم طمسوا   نهج الهدى أين انذارى وتبشيرى ؟
انا الرشيد ولى فى كل مملكة   أمرأ جرد فيه سيف مسرور
يبقى على الخير من قول ومن عمل   حر ويمحق فيها كل شرير
وأنشر العدل أعلاما اذا خفقت   أمنت من كل مطوى ومنشور
واجعل الدين والاخلاق لى هدفا   الدين دينى والدستور دستورى
ياسائلى عن هوى نفسى وبغيتها   من الحياة وقد غصت بتكدير
هواى تحرير اهل الارض من ملأ   من الهداة واقطاب الدساتير
فكل نفس لها من سعيها أمل   ولن تنال مناها دون تحرير
هل تمنع النفس من آمالها جدة   لغيرها وهى منه دون تقدير

ooo

ياثانى الغصن دع للغصن نضرته   وخل قامته من ذام تكسير
وخل للروض والاغصان زينتها   وغادها بين مشموم ومنظور
كم وردة جرحت جان بشوكتها   وزهرة مزقت احشاء هيصور (١)
روض الحياة وروض الموت أجدره   بالحر ما كان بيتا غير مهجور
ورد الحياة ابتدر من صفوها خلسا   البؤس فى السوق والآلام فى الدور

ooo

والارض شر مقيل للنسور اذا   طغت واشقى مراحا للزرازير
تضرى الذئاب وتبدو فى مصاولة   فى مسك شاة توارت خلف تحضير
ينام حارسها عنها فينذره   موت ، ودنياه منها اجر ناطور
وللحياة نوال من سلامتها   لو انها لم تشب صفوا بتكدير
تحلو وتبنى بها اللذات ماهدمت   منها وتدرك تدميرا بتدمير
فى سينماها خيال من حقيقتها   فردية حولها شتى التصاوير
طلاسم تحت ارقام يفسرها   عبث الخرافة فى لوح الفوازير
فياحقول (ايقور) وشيعته   لاضقت ذرعا بقطعان الخنازير

ابراهيم الدباغ

(١) هيصور — (الاسد)

مارسلين

أو

« مدام ديسبور دفالمور »

١٧٨٦ — ١٨٥٩

للاستاذ خليل هنداوى

فى الحياة أزاهير تقضى أعمارها منثورة هنا وهنالك، لايكاد يشعر انسان لها بوجود. متواضعة فى أرضها، منعزلة عن الاعشاب الطويلة والازهار المنتصبة. تعطر الفضاء بانفاسها، فهو أنم عليها من الصبح!

وهنالك شعراء يعيشون فى أجواء عواطفهم فى عزلة نائية عن الناس؛ اذا ترنموا فانما يترنمون ليطربوا أنفسهم؛ وان بكوا فانما يكون لتصيب أدمعهم زهرات أمانيهم، كما تصيب الروضة قطرات الطل؛ هؤلاء لايعرفهم الناس لانهم ما شاؤا ان يعرفوهم، فهم — وانفسهم تسكب الالحان — كالازاهير المنسية، وقد ملأت الفضاء أريجاً.

ومن هؤلاء الشعراء صاحبة هذه الترجمة وهذا الشعر الوجدانى، من شاءت ان تقضى حياتها هامسة بأنغام نفسها، ليس بين قلبها وبين الوجود الا ترجمان الحس والعاطفة:

هذه هى مارسلين...

ولدت فى (دواى) فى بيت تسود جوه روح الفاقة، ويغلب على قلوب اصحابه شىء من الايمان الذى يضحى بكل شىء الا بنفسه، فيبعث هذا الايمان فى صدورهم من الراحة والطمأنينة والرضا مالا تبعثه مظاهر الثروة الضخمة. على ان أمها، جربت ان تنقذ الأسرة من مرارة الفقر، فركبت وابنتها الى «بوردو» حيث تنتظرها ثروة قريبة. فاتخذت مارسلين الصعود على المسرح مهنة، ترضى بأجرها اليسير، ولكن الحظ أبى الا أن يسود الصفحة الأخيرة، لأن هذه الثروة الموهومة قد تدهور امرها قبل أن يدركا قريبتها، فأصابت أمها «حمى صفراء» أودت بحياتها. فأبت الابنة على الاثر، وعوامل اليأس والخيبة تطغى عليها.

الحياة!! كيف تعمل على تأمين أسبابها؟ فتذرعت «بالخياطة» مهنتها الأولى، وامتزجت مع الممثلين والممثلات، تقف عليهم صناعتها، فجدد هذا الاختلاط رغبتها الباطنية فى العودة الى المسرح، فعادت اليه ونالت كثيرا من مظاهر الاستحسان والتصفيق على مسرح الفنون فى «روان»، ولكن ماهى تجديها هذه المظاهر؟ وهى التى كتبت فى مذكراتها. ما أكثر ما تنهمر على باقات المعجبين بى؟ وأنا أكاد أموت جوعا دون ان أصارح أحدا بأمرى: «

ثم كفلها أحد أصحابها. فألحقها بمسرح جديد، لا يتجاوز أجرها فيه الثمانين (فرنكا) طيلة الشهر. وفى عام «١٨١٧» شاهدها عارفوها فى «بروكسل» متأبطة ذراع الممثل «فرانسوا بروسير» مرتبطين برابطة الزواج، وما حل عام «١٨٢٣» حتى كفت مارسلين عن الحياة المسرحية، وسعت وراء نفسها مستلهمة ماتوحيه اليها، بعد ان تلمست شيئاً غير قليل من الظفر الشعرى فى ديوانها الاول «اغانى ومراثى». ولكن حياتها ظلت - برغم عوامل المدح الطافية عليها - طافحة بالكآبة؛ وقد اصابها الدهر بابنتيها خلال حياتها، ثم غزاها سرطان داخلى لم يمهلها كثيرا. ومارسلين على رغم هذه البواعث على اليأس والقنوط لبثت صامتة راضية باحكام القضاء، لاتلوث ديوانها بشىء من الهجو لمعاصريها وأصدقائها، وذلك مادعا «اناتول فرانس» الى القول عنها أنها حقاً امرأة قديسة.

اما مارسلين فقد كان وجهها المشرب بشىء من الصفرة جميلا جذابا؛ ونفسها مشبوبة العواطف، متعددة اللواعج، وحيثما قلبت فى ديوانها تبد لك آثار هذه النفس المشتعلة التى تذوقت الحب، ورضيت به مرهقا للروح، ومنهكا للقوى. لأن الحب عندها هو ربيع الحياة.. وقد حار النقاد فى العاشق الذى ظلت مارسلين تلهج باسمه وبصفاته فى قصائدها حتى أدركها الموت؛ وطبيعى ان يجر خلاف النقاد الى اعتبارنا هذا الاسم المتردد اسما شعرياً ترمز به صاحبته الى اسم حقيقى

اما موقف معاصريها من نقاد وأدباء فقد اعترف اكثرهم بما يثور فى صدر مارسلين من عاطفة متقدة يؤول اليها سر براعتها الشعرية. «ولسانت بوف» فصول درس بها فن الشاعرة. رفعت كثيراً من قدرها وبراعتها: اضف اليها فصولا ومقاطيع متعددة لكبار الأدباء يرفعون بها شهرتها: وهذا «شيرر» يقول «ان بجد مارسلين شىء لاجدال فيه لانه بجد كثير الاحساس»، وهذا «اميل مونتيكو» يكتب فى «معرض العالمين» ان مكان الشعر العاطفى يقاس بمقياس العاطفة الشخصية، فان مارسلين هى اكبر شعراء العاطفة على الاطلاق.

والشاعر «ملارمى» كانت تستخفه اسباب الطرب عند مايتلو على اصدقائه قصيدة مارسلين الخالدة «حياة اليمام وموته». وأى قلب — أوتى الحاسة الفنية — يسمعها الا يحس هذه اللهجة العاطفية التى تتغلغل



حقيقة التطور

للاستاذ السر أرثر طمسن

ترجمة بشير الياس اللوس

يرى علماء التطور ان الاصناف المختلفة للنباتات والحيوانات الوحشية انحدرت فى اسلاف ابسط تركيبا واعم صفات ، وقد جرت عملية التطور هذه فى وقت طويل جدا وبتأثير عوامل مشابهة للعوامل المؤثرة فى الوقت الحاضر ، ونشأت خلال تلك العملية تنوعات Varieties جديدة تدرجت فى سلم الارتقاء ، فعاش منها من استطاع ان يكيف نفسه للمحيط ، وانقرض الآخر الذى لم يستطع ذلك .

نظرية التطور فى الوجهة المنطقية

وهنا ينشأ هذا السؤال : ماهو نصيب نظرية التطور العامة من الاثبات المنطقى اذا لم نبحث الآن فى العوامل التى لعبت دورا مهما فى هذه العملية ؟ وقبل الاجابة على هذا السؤال يجب ان نعترف ان هذه النظرية لايمكن اثباتها تجريبيا كنظرية الجذب ، ولانستطيع البرهنة عليها كى نبرهن على صحة نظرية حفظ الطاقة Conservation of Energy فهى تتناول الماضى السحيق ، ويمكن وضعها من الوجهة المنطقية فى صعيد واحد مع الفرضية السديمية (Nebular Hypothesis) التى تخبرنا عن تكوين الشمس وسياراتها . لايستطيع احد ان يعكس الشريط الكونى ليرينا عن كثب الحوادث التى جرت فى سالف العصور ، ومع ذلك يجب ان نتذكر ان فى السماء سدما تسلك نفس السبيل الذى يظن الفلكيون ان البديم العظيم سلكه فى العصور القديمة فولد نظامنا الشمسى الحاضر . وهكذا نعثر فى التطور العضوى على عمليات جارية تمثل ماحدث فى القديم كنشوء الطيور فى ارومة الزحافات ، او نشوء البرمائيات فى الاسماك

فيها معنى الشعر الحقيقى ، ورحم الله (أناتول فرانس) فقد كان يستظهر قصيدتها الاكليل المنثور ويقول عنها انها من قصائد العبقرية النادرة

وديوان مارسلين يطفح بروح المرأة المحبة التى يخرجها الحب عن نفسها ، وهو اثر واضح لدرس نفس المرأة وترددها وضعفها حين تطغى عليها عاطفة الحب ، لان مارسلين لم تتقيد بالتقاليد التى لو لم تعمل على قتل عاطفتها لخففت من عوامل بؤسها وحدتها ، وجدير بادبنا ان يطلع على مثل هذا الشعر ، وعلى مثل هذا الحب ، وعلى مثل هذه العاطفة ؟

(سننشر فى العدد القادم مختارات من شعر هذه الشاعرة)

كيف نشأ عالم الحياة

ان الجواب العلمى الوحيد لهذا السؤال يستمد عناصره من التطور الذى يقرر اساليب التغير والتحوير . نشأت جميع افراد المملكة الحيوانية بطريقة مماثلة لنشوء انسال الحمام الداجن المعروفة من حمام الصخور (Rock - dove) الذى لايزال يعشش على الجزوف حول بريطانيا العظمى ، وكذلك نشأت افراد المملكة النباتية بطريقة مشابهة لنشوء كرنب الحدائق والقرنبيط والخضراوات من الكرنب الوحشى النابت فى السواحل البحرية . وهكذا تضمن فكرة التطور العضوى العامة نوعا من البرهان يستند على المقابلة والمشابهة . إذن فتلك الحالات القليلة التى يعلمها الانسان عن نشوء حيواناته ونباتاته الداجنة تنير له طرق العلم بحدوث النشوءات العظيمة خلال العصور السحيقة فى القدم .

لذلك لانرى مسوغا لما يطلب من الادلة على التطور مادام يمكن اتخاذ كل حقيقة من حقائق علوم التشريح والفسلجة والمتحجرات والاجنة دليلا قويا على التطور اذا المنا بشىء كاف منها . وكل ما فى الامر انه يجب ان نفتش عن حجة تمهد لنا سبيل الاهتداء الى كيفية استعمال حقيقة التطور لفهم جميع المغلقات والالغاز التى نجابهها فى درس البيولوجيا .

أثر الانسان فى التطور

كان لداروين ولع شديد بدرس مساعى الانسان لتدجين الحيوانات والنباتات وتربيتها على السواء ، وغير خاف علينا ما وصلت اليه

جهود الانسان فى الحصول على ضروب متعددة من الحمام الداجن وذلك مهد لدارون أن يضع فكرته على النمط الآتى : « اذا كان فى وسع الانسان أن ينشىء فى زمن قصير انسالا عديدة قويمة التهذيب فلماذا لا يعقل أن الطبيعة قامت بذلك العمل نفسه فى زمن طويل جـــداً ؟ وكيف يقوم الانسان بتلك العملية ؟ لا شك أنه ينتقى الانواع التى تروقه أو تلائم حاجاته ويدعها تتزاوج مع بعضها على قدر الامكان ويستأصل من النسل الجديد الافراد التى لا يرغب فيها ومن ثم يقوم بتهذيب وتربيــة الافراد التى يريد الاحتفاظ بها ، فعمليته تقوم على أمرين مهمـــين : الاستئصال والتوليد. فيستأصل الردىء ويولد الجيد. وبسعيه المتواصل فى عملية الانتخاب الصـــناعى » هذه وصل الانسان الى نتائج مدهشة ، فكان له ضروب عديدة من الخيول والمواشى والكلاب والحمام والدجاج الخ ، وضروب كثيرة من النباتات كالحنطة واللفت والبطاطا والورد والبانسيه الخ ... ومن السهل أن تذهب الى المعارض الزراعيــة لتحصل على أمثلة واضحة من التطور لا تزال تعمل بقوة

لاشك أن هناك امثلة عديدة أكثر تعقيداً من نشوء الحمام لانه يصعب علينا عندئذ تحديد الاسلاف الوحشية كمعرفة أصل الكلاب مثلا . ولكن ذلك لا يقلل شيئا من قوة الحجة القائلة اذا تمكن الانسان من ايجاد ضروب عديدة من الحيوان والنبات فى وقت قصير فكيف لا تستطيع الطبيعة ذلك فى وقت طويل جداً ؟ ... والآن يجب ألا نغفل عن أمرين مهمين : أولهما أن الانسان لا يبتدع الضروب الجديدة بل ينتظر ظهورها ، وثانيهما أن القوى المؤثرة فى الطبيعة التى تماثل عمل الانسان فى الاستئصال والتهذيب هى التناصر على البقاء ونزوع المخلوق الى الحياة .

مصدر القوة

عندما يمضى العالم الطبيعى فى تمحيص انواع مختلفة من الحيوانات القريبة من بعضها حسب الظاهر يجد تغايرات مدهشة جدا ، وسرعان ما يلاحظ ان بعض العضويات وحتى بعض الاعضاء هى أكثر عرضة للتغاير من البعض الاخر . وتدلنا جميع الحقائق المستقراة بالمشاهدة على ان قابلية التغير هى من اميز صفات الكائنات الحية .

والواقع اننا لا نستطيع ان نجد طائرين يتشابهان تشابها تاما بحيث يعسر علينا تفريق أحدهما عن الآخر . فالاخوان يختلفان عن بعضهما بالرغم من تولدهما من ارومة واحدة . ويذكر لنا البروفسور لوتسى (Prof. Lotsy) أنه رأى فى متحف « ليدن » (Leiden) نحو من ٢٠٠ ضرب من طيور الباز لا يوجد بين اثنين منها تشابه تام . وكذلك نعرف عن بعض المرجان المركب أن بنية الافراد فيها تختلف باختلاف الاغصان فى المستعمرة الواحدة . على أن مصدر التغير كائن فى المادة الحية العضوية دون بين تضاعيفها . ويجب على الباحث أن يميز الفروق الخارجية التى يمكن ارجاعها الى خصائص المحيط أو الغذاء عن الفروق الداخلية أو الموروثة التى يظهر أنها تتقدم من البـاطن ، ويطلق على الأخيرة فقط تعبير « التغايرات » (Variations) أو « التغـــيرات الفجائية » (Mutations) اذا نشأت بصورة فجائية .

ارتقاء الحياة

من المحتمل أن كائنات حية كانت تعيش على اليابسة وفى المياه الى مدة تزيد على المائة مليون سنة ، ولكنها لم ترتق فى ذلك الوقت كثيرا لاسباب ترجع اولا الى المحيط . إن تقدم الحياة مشهد بليغ وصفه الفيلسوف لوتز (Lotze) — وهو أحد علماء الحيـاة أيضا — بقوله « أنه كالنغمة المطربة التى يعلو صوتها كلما تقدمت واقتربت من السامع » .

لم توجـد خلال عصور عديدة حيوانات عظمية أو فقرية بل أن جميع الحيوانات التى كانت عائشة آنئذ كانت رخوة لا عظمية أو لا فقرية . ولكن الاسماك كانت موجودة فى البحار السيليورية (Silurian) ومرت عصـــور عديدة ظهرت خلال أحدها وهو العصر الرملى الاحمر القديم (Sandstone Period Old Red) البرمائيات بعد ان اجتازت خطوات من التطور عظيمة كاكتساب الاصابع والرئتين الحقيقيتين والاوتار الصوتية واللسان المتحرك والقلب الثلاثى المخادع الخ .. كان هذا التقدم واضحا ولو ان هذه الحيوانات ظلت ضفدعية الخواص حتى عندما وصلت عصرها الذهبى فى العصر الفحمى Carboniferous Period .

وبعد مضى عصور اخذت الزواحف الملونة تظهر فى العصر البرمى (Permian Period) والتى نرى فيها التغاير والتنوع والتقدم بمقاييس كبيرة . فبعضها كانت بحرية وبعضها برية وبعضها هوائية والبعض الآخر كان يعيش بين الاشجار . وكان بعضها عظيما هائلا والبعض الآخر صغيرا دقيقا . وهكذا حصلت تنوعات كثيرة بين الزحافات القديمة . على انها جميعا لم تكن قد وصلت الى درجة تامة فى النمو العقلى بل كان فيها استعداد عظيم لذلك . ويظهر ان كثيرا منها

(البقية على صفحة ٣٩)

هل للعلم قيود تفرضها الاخلاق؟

للدكتور هنسن أسقف درهام بانجلترا

ترجمها بتصرف الدكتور أحمد زكى

« بدا شيء من القلق في منطوقات رجالات العلم ارتاع له الناس . وكيف لا يرتاع الرجل العادى وقد أنذر رؤساء ثلاثة لرابطة العلوم البريطانية British Association فى سنوات ثلاث متعاقبة بالخطر الذى يحيق بالمجتمع المتمدين من جراء التقدم السريع الجارى . ان رجل العلم فى العصر الحالى كساحر القرون الخوالى يبعث الشياطين فلا يلبث أن تفلت من قبضته ، وتتحرر من سلطانه ، فتعيث فى الكون افساداً وتخريبا »

من خطبة قريبة

العقل العلمى

كلنا متفق على أن العقل العلمى يجب ان يكون خلوا من كل غرض ، بعيدا عن كل شهوة ، ان هوى صاحبه فلن يتأثر بهواه ، وان ابغض فلن يتأثر ببغضه ، فهو عقل يطلب الحقيقة للحقيقة وحدها ، وهو يطلبها فى هدوء وثقة واتزان ورجاحة ، لا يزعجه اصطخاب تثيره التقاليد حوله ، ولا يهزه اضطراب يبعثه العرف السائد من جراء ماتكشفه له ، وهو يطلبها فى قناعة وعفة ونبل ، فلا تحدثه نفسه بما قد تؤدى له الحقيقة المكشوفة من نفع ، وما قد تدر عليه من مال ، وهو يطلبها لحاجة شديدة فى نفسه تدفعه دفعا الى علم ما لم يعلم ، كما يندفع الهالك الظمآن الى الرّى والماء ، وهو لا يفرق بين الحقيقة الصغيرة الحقيرة ، والحقيقة الكبيرة الهامة ، ولا بين الحقيقة تأتيه هوناً ، وبين الحقيقة يأتى بها الجهد الجهيد ، فلكلٍّ مكانه من الخريطة العامة ، وهى لا تتم إلا بتمام أجزائها ، وهو لا يجد لنفسه عوضا كافيا من هذه الجهود ، ولا جزاء وفاقا على متاعب البحث ومصابرة التنقيب ، كالعلم الذى تحصله تلك الجهود والابحاث . وبعد فليس بمستغرب أن من يطلب العلم لذاته دون مراعاة شيء غيره ولا مجاملة أحد سواه يصطدم بكل سلطان قوى الدعائم قديمها . ومن ذلك سلطان الدين

العلم والدين

وقد اشتبك الدين والعلم فى معارك بدأت فى أواخر العصور الوسطى وامتدت إلى وقتنا هذا (١) . ولا شك أن من أكثر اسباب هذا العراك سوء فهم للدين ، وعدم التمييز بينه وبين علم اللاهوت التقليدى الموروث . وقد خلف لنا هذا العراك سجلات عديدة من مساجلات ومناظرات امتلأت بها رفوف عديدة بدور الكتب ، ولكنها لا تجد الآن قارئاً الا دارسا متشوفاً يأتى اليها الفينة بعد الفينة ، مناظرات لم تولد غير كراهات غاشمة أفسدت الأذهان وأساءت إلى التفكير الخالص فى كلا المعسكرين على السواء ، نظر فيها رجال الدين بأعينهم الى الوراء ، الى السنوات الزاهرة الذاهبة حين المجد للدين وحده ، والجبروت للعقيدة وحدها ، والسلطان الذى لا يدافع لرجال الكنيسة وحدهم بلا منازع ولا متحدٍّ ، فعز عليهم أن يُسلّموا كل هذا وان يعترفوا للعلم بكثير أو قليل

على ان الخصام الذى بين العلم والدين قلّ فى العصور الحديثة ، او على الأقل هدأت حدته ، وذلك ان اهل اللاهوت تعلموا ولو فى كثير من التباطؤ ، وأذعنوا ولو فى كثير من التلكؤ ، واهتدوا اخيرا الى التوفيق بين تعاليمهم وتعاليم العلوم الطبيعية من فلك وجيولوجيا حتى علم الحياة وكان اصعبها توفيقاً .

العلم والاخلاق

ومادام العلم يشتغل بملاحظة حقائق الوجود عن كثب ، وبتدوين احداث العالم المادى فى أمانة ودقة ، ومادام يخرّج النتائج من الفروض تخريجاً صحيحاً ، فقد جاز ان يصطدم بعقائد المسيحية التقليدية ، وقد اصطدم فعلا . وليس من الضرورى — ما حبس نفسهُ فى هذه الحدود — أن يصطدم بالاخلاق ما توجبه وما ترتضيه . ولكن عند ما يبدأ العلم يطبق طرائقه التطبيقية على جسم الانسان وبدنه فانه بذلك

(١) يقصد تاريخ الصراع بين الدين والعلم فى اوربا .

يخرج عن حدوده الاولى ، ويبدأ يمس رأى الناس فى أنفسهم وأعمالهم ، وبدل أن يكون الخصام بين العلم والدين ، يصبح خصاماً بين العلم وقانون الاخلاق العام Moral Law وهو قانون يشد أجزاء المجتمع بعضها الى بعض ، كما يشد الملاط آجرَّ البناء ، وعندذلك يصبح قانونا مزعزع الأساس مشكوكا فى سلطانه ، ويصبح قضاؤه غير مبرم . ثم يتقاصر ظله ويتقاصر حتى يصبح عبداً للعلم خاضعا لنتائجه ، مأموراً بعد أن كان آمراً : وعندئذ ينظر الانسان بعين جديدة الى الطبيعة البشرية ، ويصبح الواجب البشرى ذا سيطرة ، ولكنها محدودة مشروطة

وهنا يُتساءل : هل يكون للمعمل فتاوى أخلاقية خاصة يتحلل بها أصحابه من القانون الاخلاقى العام الذى يتبعون أوامره ونواهيه عن طيب خاطر حيثما ساروا فى الدنيا الوسيعة حتى اذا هم دخلوا المعمل أغفلوها جميعا ؟ أيجوز استخدام التجربة ، ذلك السلاح الرهيب دون مراعاة صالح غير صالح المعرفة للمعرفة ذاتها ؟ ألا ينقلب رفض العلم لمراعاة اعتبارات الحياة الأخرى سببا الى اقتراف كثير من الآثام ؟ وجملة الامر هل تتقيد الطريقة العلمية بقيود خلقية أم تترك طليقة ؟ واذا هى تقيدت فما هى تلك القيود ؟

قال هكسلى : « إن كل الفلسفات وكل الاديان تقريبا متفقة على أن الحقيقة والجمال والخير غايات ثلاث يطلبها الانسان لذاتها دون ماعداها ؛ أو على الأقل تتفق الفلسفة والاديان على ذلك نظريا ، أما عند التنفيذ فتظهر اختلافات وتلوح مصاعب ،

ومع ذلك فهكسلى لا يتنازل عن شىء للتنفيذ ، ولا يجود بشىء مما يتطلبه العمل من الضرورات . فهو يقول : « كثيراً ما يقال إن من الأشياء ما يعلو على الفحص والتمحيص لقداسته ، ولكن الرغبة الشديدة فى المعرفة الخالصة اذا ملأت رأس الانسان لم تجز له تمحيص كل شىء فحسب ، بل تحتم عليه أن يتتبع مباحثه غير آبه لأى المواضع قادته ، غافلا عن كل صفات الأجسام المبحوثة مادامت قابلة للبحث والفهم ، فان العقل الممحص لا يرى أن بحث الشىء يمنع منه قدسيته ، وفضلا عن هذا فان التجربة دلت على أن المعرفة التى تُنال من أجل نفسها عن هذا الطريق ، تقع من النفس منزلة لا تنزلها هى نفسها لو أنها أصيبت عن طريق غير هذا

قال هكسلى ذلك وهو يعرض للدين أكثر من عرضه للخلق ، ولكن كلامه يمكن تمديده حتى يسع الاخلاق . وهكذا يصبح السؤال : هل يصح لنا أن نفترض أن « الغايات الثلاث التى يطلبها الانسان لذاتها دون ماعداها » متوافقة فى جوهرها كل التوافق حتى أن من يطلب الواحدة يحصل فى النهاية على الجميع . يقول عميد كاتدرائية سانت بول : « يجب علينا ألا نفارق بين القيم الثلاث أو نخاصم بينها . فكلنا نتسلق الجبل فى طريقنا الى الله . ولكن من طرق ثلاث تؤدى كلها الى قمة الجبل . ومن المحتمل أن نجد من هذه الطرق واحدة هى أيسرها فى الصعود »

انا لا أُعنى الآن بالنهاية التى تؤدى اليها القيم الثلاث ، ولكن عنايتى الحاضرة بالنتائج العملية التى تنشأ عنها . ان استعارة العميد نفسها تتضمن انفصال الثلاث فى سبيلها من الجبل ، وهذا الانفصال هو بيت القصيد . فلنسلم جدلا بأن النزاع القديم بين الفن الجميل والاخلاق أكثره سوء فى فهم هذا ، أو فهم ذلك ، أو فهمهما كليهما ، ولكن السؤال : هل للفنان أن يغمض بحق عينه عن الاعتبارات الخلقية وهو يعمل فى دار فنه ؟ هل دراسة الفن للفن قضية رصينة مقنعة ؟ . . .

شرائط العلم ثلاث

أنا أقول إن الطريقة العلمية مشروطة بشرائط ثلاث ، أولها الواجب الذى تفرضه الأخلاق على دارس العلم بحكم رجولته ، ذلك الواجب الذى لا يستطيع أن ينسخه أى مأرب من مآرب العلم مهما كان . وثانيها قيود لا بد من تقيد الطريقة العلمية بها ، تحتمها حقوق أولئك الذين تؤثر فيهم تلك الطُريقة ، وثالثها قيود يفرضها نوع النتاج المقصود من التجربة ؟

(يتبع)



من غير عنوان

للقصصى الروسى تشيكوف

كانت الشمس فى القرن الخامس عشر تشرق كل صباح وتغرب كل مساء كما هى اليوم . وحينما تقبل أشعتها الاولى ندى الارض تنفض هذه عنها غبار الكرى ، وتشيع فى الدنيا البهجة وتحلو الامانى ! وتعود الارض فى المساء الى سكونها ثم تغوص فى غياهب الليل . وقد ترى احيانا سحابة راعدة تلوح : ويقصف الرعد وهو يزمجر ، أو تهوى نجمة من شاهق وهى وسنانة ، أو يقبل راهب حثيث الخطى شاحب اللون ليخبر رفاقه بانه رأى نمرا قريبا من الدير . كان هذا كل شىء ، ثم تعود ثانية الايام تشابه الايام ، والليالى تحاكى الليالى .

كان الرهبان يصلون ويعملون : أما رئيس الدير فيعزف على الأرغن ، ويقرض الشعر اللاتينى ، ويؤلف النغم الموسيقى . وكان للكهل الحلو الوديع ذكاء نادر وسجايا حميدة . فهو يعزف على الأرغن ببراعة ، حتى أن معظم الرهبان القدماء الذين يضعف سمعهم كلما اقتربت نهاية حياتهم ما كانوا يستطيعون أن يحبسوا دموعهم كلما هفا صوت ارغنه من صومعته . وعند ما يتكلم ولو عن الشئون العامة كالشجر والوحوش الضارية والبحر الخضم ، لا يسمعه انسان دون ان ترى دمعة تترقرق فى عينيه ، أو بسمة ترتسم على شفتيه . فيخيل اليك ان الانغام التى تتجاوب فى الأرغن هى بعينها التى تعتلج فى نفسه . وحينما يهيجه غيظ متمكن ، او يأسره فرح شديد ، او يتحدث عن اشياء مروعة تأخذه نشوة قوية ؛ ويتسائل الدمع من عينه اللامعة ، وتضرج وجهه الحمرة ، ويدوى صوته كالرعد . هنا يحس الرهبان المستمعون ان ارواحهم تذيبها عظمته وانها تفنى فيه . لقد كانت قوته فى هذه الدقائق العظيمة العجيبة لا تحد ، فلو امر شيوخ الدير ان يقذفوا بانفسهم فى البحر لاستبقوا اليه مسرعين .

كان موسيقاه وصوته وشعره الذى يمدح به الله منبعاً لسرور الرهبان لا ينضب . ففى مدة حياتهم الرتيبة تنقلب الاشجار والازهار والربيع والخريف الى اشـياء مملة ، ثم يقلقهم هدير اليم الزاخر ، ويصبح شدو الطير مملول النغم مرذول الجرس . ولكن سجايا رئيسهم كانت لهم بمثابة القوت الحى والقوة المجددة .

كرت السنون وما زالت الايام تشابه الايام ، والليالى تحاكى الليالى وما دنا من الدير أحد اللهم الا ضوارى الوحش وجوارح الطير . وكانت أقرب المساكن الانسانية بعيدة جداً . ولا تصل اليها من الدير أو تصل الى الدير منها حتى تعـبر صحراء ذرعها مائة ميل .

والذين يجرأون على القيام بهذا هم أولئك الذين لا يجعلون للحياة قيمة ولا يقيمون لها وزنا ، والذين نبذوها وراءهم ظهريا ونفضوا أيديهم منها جملة . يولون وجوههم شطر الدير وكأنهم يسيرون الى القبر .

ولشد ما كانت دهشة الرهبان عند ما قرع بابهم فى ليلة من الليالى رجل برهن لهم على أنه من سكان المدينة : وكان هذا الرجل أكثر الناس ارتكابا للاثم وحبا للحياة . وقبل ان يصلى او يرجو رئيس الدير ان يباركه طلب طعاما ونبيذا .

فلما سألوه عن سبب قدومه من المدينة الى الصحراء قص عليهم قصة صيد طويلة : خرج يطلب الصيد ومعه شراب كثير فضل الطريق ، وعند ما اشاروا اليه أن من الواجب عليه ان يمسى راهبا اجابهم فى ابتسام :

« لست لكم بصاحب ! »

شرب واكل ملء بطنه ، ثم رفع بصره الى الرهبان الذين يقومون بخدمته وهز رأسه لائما وقال :

« انكم معشر الرهبان لا تعملون شيئا ، كل ما تعنون به هو طعامكم وشرابكم ، هل هذه هى الطريقة لخلاص أرواحكم ؟ فكروا الآن ! بينما أنتم تعيشون فى هدوء هنا ، تأكلون وتشربون وتحلمون

بالخيرات والبركات اذا باخوانكم هناك قد كتب عليهم عذاب الجحيم ، انظروا ما الذى يحدث فى المدينة اينما بعض الناس يموتون جوعا ،اذا بالآخرين لا يعرفون أين يبذرون الذهب ، ينغمسون فى الدعارة ويهلكون فيها كأيهلك الذباب فى العسل ، ثم لاصدق ولا اخلاص بين الناس . من الذى يجب عليه انتشالهم مما هم فيه ؟ أأنا الذى أروح صريع الكأس من الصباح الى المساء ؟ هل أنعم الله عليكم بالاخلاص ، ومن عليكم با لحب ، وحباكم بالقلوب الرحيمة ، لتجلسوا هنا بين هذه الجدران الاربعة ولا تعملون شيئا؟!»

ومع أن كلام الرجل الكبير كان ينطوى على الجرأة والقحة فقد أثر تأثيراً غريبا فى رئيس الدير فنظر هو والرهبان بعضهم الى بعض ثم قال رئيسهم بوجه شاحب « اخوانى انه محق . فصحيح ان الحماقة والضعف البشرى جرفا الانسانية التعيسة فى تيار الجحود والاثم فاهلكاها وقضيا عليها . وها نحن اولاء لانريم من هذا المكان كأن لا عمل لنا ولا واجب علينا . لماذا لا أذهب اليهم فاذكرهم بالمسيح الذى نسوه ؟ » .

نالت كلمات رجل المدينة من نفس رئيس الدير ، ففى اليوم التالى أمسك بعكازه وودع اخوانه ، وركب الطريق الى المدينة ، فامسى الرهبان لاينعمون بموسيقاه ولا بحلو حديثه ولا برائع قريضه .

ترقبوه شهرا ثم شهرين فما عاد ، وأخيرا فى نهاية الشهر الثالث سمعوا نقر عصاه المألوف فخف الرهبان لملاقاته وأمطروه بالاسئلة ، ولكنه بدلا من مشاركتهم فى حبورهم بكى بكاء مرا وما نبس ببنت شفة . رأى الرهبان انه اصبح نحيلا وان اعراض الكبر قد بدت على ملامح وجهه

فما تمالك الرهبان وقد رأوا منه ذلك ان اجهشوا بالبكاء وسألوه عما يبكيه ، فما اجابهم بكلمة وغادرهم موصدا عليه بابه ومكث فى صومعته . لبث فيها خمسة ايام ماشرب فيها شرابا ولا طعم طعاما ولاعزف على الآرغن . ولما طرق الرهبان عليه بابه والحوا عليه فى الخروج ليشاركوه فى اساه كان جوابه الصمت العميق .

خرج من معتكفه أخيرا وجمع حوله الرهبان وأخذ يقص عليهم ماحدث له خلال الشهور الثلاثة التى خلت ، والدمع ينضح وجهه والالم يأكل قلبه ، ثم هدأت نفسه وتهللت أساريره حينما أخذ يصف لهم رحلته من الدير الى المدينة . غنى الطير وخر الجدول على جوانب الطريق ، وجاش صدره بالأمانى الحلوة والآمال المعسولة . شعر بأنه جندى يتهيأ لاقتحام الموقعة والوصول الى النصر المحقق . سار حالما يقرض القصيد ويصوغ النشيد ، وسرعان ما وجد نفسه فى نهاية الرحلة . على ان عيونه أومضت باللهب ، ونفسه جاشت بالغضب ، وصوته ارتعش عندما بدأ يحدثهم عن المدينة والانسانية . ماكان رأى ولا تخيل قبل اليوم كل الذى رآه وأحصاه وهو فى قلب المدينة . رأى وفهم لاول مرة فى حياته سلطان ابليس وسيادة الجور وضعف القلب الانسانى الخاوى . هنا خمسون أو ستون رجلا جيوبهم مترعة بالمال يقصفون ويشربون النبيذ دون حد . أخذوا وقد تملكتهم نشوة الراح يرفعون عقائرهم بالغناء الساقط ، وينوهون فى شجاعة باشياء جارحة لايجرؤ انسان يخاف الله جل سلطانه ان يشير اليها . فهم احرار سعداء شجعان لايخافون الله ولايخشون الجحيم ولايهابون الموت . يقولون ويفعلون مايشاءون ، ويذهبون الى حيث تسوقهم رغباتهم الجامحة .

اما النبيذ فصاف صفاء الكهرمان ! وهو ايضا ذكى الرائحة لذيذ الطعم ، لأن كل من يعب منه يطفح وجهه بالبشر ويرغب فى الشراب ثانية . وهو يجزى على ابتسام بابتسام ، ويتهلل غبطة كانه يعرف أى ضلال جهنمى يختبىء تحت حلاوته .

غلى مرجل غضبه وبكى أحر البكاء واشجاه . ثم استطرد يقص عليهم ما رأى : « وقفت أمرأة نصف عارية على منضدة وسط القاصفين ، ويصعب عليكم ان تصوروا شيئا اكثر فتنة وسحرا منها ، صبى ناضر زاهر ، وشعر طويل جثل ، وعيون سوداء لامعة ، وشفاه مكتنزة محمرة ، ثم سفاهة وجرأة وقحة . هذه البهيمة تبتسم فتفترعن اسنان بيضاء كالبرد كأنها تقول : «انظروا انى جميلة ! ومستهترة ...... » وتتدلى من عاتقها الملابس الحريرية البديعة المشجرة . على ان جمالها لاتخبئه ملابس ، لأنه بشره يفسح لنفسه الطريق بين طيات ثوبها ..... كانه الأعشاب الصغيرة وهى تشق لنفسها الطريق فى الارض زمن الربيع . وتشرب المرأة التى لاتستحى النبيذ ، وتغنى الأغانى ، ثم تستسلم بعد ذلك للعربدين .... »

لوح الرجل الكهل بذراعيه حانقاً ثم استمر يصف لهم سباق الخيل ، وصراع الثيران ، والملاعب ، وحوانيت الفنانين حيث يعرض هيكل المرأة العارية مرسوما بالزيت أو منحوتا من الصلصال

* * *

كان الرجل فى حديثه لسنا ملهماً جهورى الصوت حلو الجرس كأنه يعزف على آلة موسيقية لاتقع عليها العين . والرهبان

صـــديقها عشيقها

روایة مصرية عصرية فى فصـــل واحد

للكاتب الروائى الأستاذ محمد خورشيد

أشخاص الرواية

فايد بك عمره ٢٨ سنة — فتى راق وارث بيت مجيد وثروة واسعة
احسان بك « ٢٥ سنة — صديق فايد ذكى متهكم ماكر
مختار بك « ٦٠ سنة — اعزب . صديق حكمت الصدوق
حكمت هانم « ٢٧ سنة — ارملة رجب باشا . فتاة راقية غنية
سميرة هانم « ٢٥ سنة — صديقة حكمت من عهد الدراسة
خادم فايد بك . . . .

غرفة المكتب بمنزل فايد بك يصلها باب فى الصدر بهو المنزل ، والى اليسار باب آخر يفضى الى باقى الغرف . الى اليمين مكتب فاخر ومكتبة زاخرة بالكتب المجلدة تجليدا ثمينا — وأمامهما كنبة لثلاثة — وأمام هـــذه الكنبة منضدة عليها صندوق سجاير ومنفضة من الفضة — وحولها كراسى — جميع القطع من خشب «الموجنة» مكسوة بالقطيفة الحمراء . وفى وسط الغرفة سجادة ، والطابع العام الأناقة واجتناب الكظة وحسن الجمع بين الألوان .

الوقت عصر .

المنظر الاول

« يرفع الستار عن مختار واحسان واقفين جهة اليمين بين الكراسى وفايد واقفا جهة اليسار قريبا من باب مفتوح قد وقف بعتبته خادم »

فايد — « يخاطب الخادم » ضع الملابس التى ذكرتها لك فى الصندوق ، ولما تصل الى الاشياء الصغيرة : اربطة الرقبة والمناديل وما يشابهها ، اخبرنى لأجىء وأختار منها ما أريد .

الخادم — سمعا وطاعة سيدى . « يخرج ويغلق الباب خلفه »

فايد — « وقد ذهب الى حيث احسان ومختار » اهلا مختار بك ! مساء الخير ! مساء الخير يا احسان ! تفضلا

« يردان تحيته ثم يجلس ثلاثتهم . يقدم فايد صندوق السجاير فيأخذ كل منهما سيجارة ويشعلها ، ويأخذ هو سيجارة لنفسه ويشعلها . »

« يبدأ مختار الحديث فيقول : »

مختار — أخبرنى احسان بك انك ستسافر هذا المساء الى استامبول ، فاستغربت ، أولا لأنك كنت قد قررت ألا تسافر هذه السنة ، وثانيا لأن فصل الصيف أوشك ان ينتهى . نحن الآن فى أواخر شهر يوليه ، خير ان شاء الله ! ما الداعى للسفر بغتة ؟

فايد — شعورى بضعف ، وحاجتى الى تبديل الهواء .

احسان — لاضعف هناك ولا خلافه . لابد من سبب تخفيه واظننى ادركته

فايد — « ينظر الى احسان نظرة عتاب ويقول : »

قد يعتقد مختار بك الآن ان لسفرى سببا اخفيه ، مع ان الحقيقة هى ما ذكرت . نعم كنت قررت الا اسافر هذا العام ، ولكن حر الصيف جاء فوق المألوف فأضعفنى وشعرت بضرورة الفرار منه ، لذلك عزمت على السفر الى استامبول لأمكث بها شهرى أغسطس وسبتمبر ، ثم أعود فى اوائل اكتوبر حين يصبح جو القاهرة محتملا . وقد حجزت لى محلا بالباخرة التركية التى ستبرح الاسكندرية غدا . . .

مختار — ومنعك استعدادك للسفر عن الحضور ليلة امس لقضاء السهرة بمنزل حكمت هانم ، فسألتنى عنك فأجبتها انك لابد حاضر ، ولكنك كذبتنى ولم تحضر

فايد — ارجو المعذرة ، كنت عازما على الحضور ولكن خاننى الوقت . فلم أكد أفرغ من ترتيب أمورى مع الكاتب والخدم اثناء غيابى عنكم حتى كان الليل قد انتصف

مختار — كنت اظنك مغتبطا بصداقة حكمت هانم التى رحبت بك وخصتك بكثير من عطفها ، وكانت دائما تدعوك الى سهراتها البديعة البهيجة . كنت اظنك مثلى قد بلغ بك الاخلاص فى الود الى درجة لاتستطيع معها فراقها ، ولكن يظهر ان قلبك لم يقدر صداقتها كما يقدرها قلبى ، لذلك سمح لك ان تسافر وتحرم رؤيتها شهورا عدة ، بينما لا يمكن لقلبى ان يسمح لى ان احرم

ذاهلون عن انفسهم غائبون عن رشدهم وقد اسرتهم كلماته وسحرهم بيانه ، فهم يلهثون من فرط السرور . ولما فرغ من وصف اغواء ابليس وفتنة الفسوق وسحر المرأة لعن ابليس ثم غادر المكان واختفى وراء بابه .

فلما خرج من صومعته فى صباح اليوم التالى لم يجد راهبا واحدا فى الدير . فقد انطلقوا جميعاً مسرعين الى المدينة ! !

محمود البدوى

منها يوما واحدا. ولكن لا بأس فى ذلك ، فلكل منا ميله وشعوره ، وكل ماألومك عليه أنك لم تحضر عندها ليلة أمس ولم تستأذن منها فى السفر. لاتؤاخذنى يافايد بك. أنا الذى عرفتك بها وقدمتك اليها كولدى العزيز وأنت تعلم مكانتها عندى.

فايد — انى آسف اشد الاسف لأنى لم أتمكن من الذهاب اليها ليلة أمس وتوديعها وشكرها على ماغمرتنى به من عطف ، وسأمر مساء اليوم فى طريقى الى المحطة وأترك لها بطاقة اذكر فيها اسفى وشكرى ووداعى.

مختار — هذا حسن ،ولكن الأحسن منه أن تذهب اليها بعد نصف ساعة. لأنها ستنتظرنى للشاى فى الساعة الخامسة والنصف والساعة الآن الخامسة : فتعال بعد نصف ساعة نشرب الشاى معها ثم تستأذنها فى السفر وتنصرف. لديك من الوقت متسع ، فان القطار الذى سيقلك الى الاسكندرية يتحرك فى تمام الساعة السابعة

فايد — أسفى لايقدر لأنى فى انتظار من لابد لى من مقابلتهم قبل سفرى. أرجو أن تشرح لها عذرى ، وان تحتفظ لى بصداقتها التى لها عندى ارفع منزلة. وان وجدت بعد عودتى ان مكانتى عندها لم تتغير ، أعدك انى حينئذ ابذل قصارى جهدى لأكسب عطفها ورضاها.

مختار — ليكن ، سأجتهد فى فعل ماتريد

احسان — تصريحك يامختار بك بأن لابد لك أن تراها كل يوم يبرهن على ان لصداقتها مكانة رفيعة عندك

مختار — صداقتها هى غاية حياتى ، هى قوتى ، هى هنائى. نتقابل كل يوم اما للغداء أو للشاى. هذا اذا لم اقض سهرتى فى مجلسها السعيد.

احسان — اقديمة معرفتك بها؟

مختار — عرفتها منذ خمسة اعوام عندما تزوج منها صديقى المرحوم رجب باشا ، فاستولت على قلبى بصراحتها وسامى عواطفها. فلما توفى الباشا زوجها شاركتها فى احزانها ، وبذلت جهدى فى التخفيف من آلامها. ودأبت على خدمتها فى خضوع واخلاص حتى اتخذتنى صديقا لها وكشفت لى عن قلبها فرأيت العفة والكمال والطيبة وحسن الخصال والعطف والحنان ؛ والآن مضى على عامان وانا سعيد بصداقتها واثق من أخلاصها ووفائها

احسان — الا ترغب هى فى الزواج ؟

مختار — كلا ، وقد صرحت لى انها ستبقى وفية لذكرى من احبته وأحبها ولن يكون لها زوج غيره

احسان — إذن لا بد لها من عشيق تهواه

مختار — ماهذا الكلام ؟ ! حكمت هانم يكون لها عشيق ؟ ! هى مثال العفة والفضيلة ؟ ! . . .

احسان — لكنها يابك فى عنفوان الشباب وكمال الصحة. وللحب على الشباب نفوذ ، كما ان للطبيعة على الصحة سلطانا

مختار — الصداقة عندها قهرت الحب ، والعفة تغلبت على الطبيعة.

فايد — احسان يجهل قوة الصداقة وسلطانها على القلوب. أنه فتى مادى ، فلاتتعب نفسك معه.

احسان — على كل حال لا يستطيع مختار بك أن ينكر انها ذات دلال. وانى وإن لم أكن من اخصائها لى بها معرفة ، وقد سبق ان زرتها ورأيت بعينى دلالها

مختار — لاانكر انها ذات دلال ، ولكن دلالها حلو : دلال كله طيبة ، دلال خلا من المكر والخداع. ودلال النساء قوامه الدهاء عادة : دلال يخفى اغراضا مقصودة ، دلال اثيم ، دلال مصطنع : أما دلال حكمت هانم فقوامه الصراحة : لاغرض له سوى ملاطفة الاخصاء. دلال برىء ، دلال طبيعى. خلقت ذات دلال فلا يجوز لانسان ان يلومها على دلالها ، كما لايجوز له ان يلوم وردة على عطرها

احسان — ان اعجابك بها لاحد له ، لكن اصغ لى. كل فتاة فى مثل جمالها ودلالها لابد ان يكون لها عشاق كثيرون ، فكيف تعتقد أنها بغير عاشق ؟

مختار — قد يكون لها عشاق. لكنى واثق من انها لم تعشق احدا منهم. الا تعلم يااحسان بك ان ذوات الدلال لا يفرطن فى عفتهن مطلقا. وان كل واحدة منهن تسعى بدلالها وراء غرض واحد : هو ان تحوز الاعجاب وتستثير الرغبة. لذلك لا تجود حتى بقبلة واحدة لتبقى دائما موضع الاعجاب ومثار الرغبة

احسان — نظريتك غريبـــة ! اتحرم نفسها الحب لتبقى مرغوبا فيها ؟

مختار — شاءت المقادير ان تتكلم ذوات الدلال على عتبة الحب والباب مغلق !

احسان — وان فتح الباب ؟

مختار — لايفتح لهن ابدا !

احسان — لنفرض انه فتح

مختار — تكون معجزة

احسان — فلتكن. الا تعلم يامختار بك ان الحب قادر على هذه المعجزة ؟ الحب هو الذى يشفيها من الدلال

مختار — سبحان الله يا احسان بك ! قلت لك إنها لا تحب ولن تحب، وستبقى وفية لذكرى زوجها الذى أحبتـه ، انى أكثر علما بها وبعواطفها منك ومن كل الناس . لقد استعاضت عن الحب بالصداقة ، ووجدت فى خلا وفيا وصديقا صدوقا. ياللساعات السعيدة التى نقضيها معا !! ساعات تتجلى فيها الصداقة بأعلى واجمل معانيها . ذكاؤها وسرعة خاطرها يعادلان جمالها ودلالها، حديثها ينم عن طيبة قلبها ووفائها ، ولصوتها رنات عذبة هى أشبه بنغمات روحانية تبعث الامل فى الفؤاد . اذا تحاورنا تم فكرى بنفس الالفاظ التى تحوم حول شفتى ،أو تجيبنى بما يولد فى نفسى طائفة من الافكار الطريفة . نصف كلمة منها تنبئنى أكثر من جملة من غيرها ، لأننا تعودنا أن نفكر معا . تعلم كل ما يجيش بصدرى من شعور . وادرك كل ما يتخلل نفسها من ارادة . نحن مخلوقان يتمم كل منا الآخر .

أحسان — لانزاع فى ذلك . صداقتكما لاينكرها الا مكابر

فايد — ولانزاع فى ان الصداقة عاطفة اثبت من الحب، لأنها ترتكز على انقى ما فى النفس — على الجزء الروحانى منها

مختار — « وقد نظر الى ساعته » : ازف الوقت . اسمح لى يافايد بك . اريد ان اذهب الى مكتبة سكر لاشترى كتابا طلبته منى حكمت هانم ثم آخذه معى اليها . سأحضر الى المحطة هذا المساء لوداعك

فايد — «وهو يشيعه الى الباب » . لاتكلف نفسك . ارجوك

مختار — لا . . . . . هذا واجب .

احسان — «وقد لحق بمختار ومد له يده » . الى الملتقى

مختار — « وقد اخذ يده » الى الملتقى

« ثم يحيى احسان قائلا : الى هذا المساء . . . « يخرج »

المنظر الثانى

فايد — احسان

احسان — ياله من غبى! غبى تماما سابح فى خياله، غارق فى احلامه

فايد — مالك وله ؟ . دعه فى اعتقاده . صداقة حكمت هى نبراس حياته . فى سنه تلعب الصداقة دورا هاما

احسان — دورا يعمى ! النهاية ، دعنا منه . . بلغنى انك غاضبتها . اصحيح ؟

فايد — غاضبت من

احسان — غاضبت الحبيبة المحبوبة ، غاضبت حكمت هانم .

فايد — كيف علمت ذلك ؟

احسان — كل القاهرة تعلم ذلك . كل القاهرة الا واحدا . . . سعادته . « ويشير الى الباب الذى خرج منه مختار . »

فايد — كل القاهرة ؟ اشكرها على اهتمامها بشأنى . آه ! فهمت الآن لماذا اتيت . جئت تدرس نفسى لترى وقع الألم عليها . لكن ياعزيزى ، صدقنى أنى لا اتألم . لا اتألم الآن . ربما تألمت غدا . وربما بعد ساعة ـ لكن الآن لا اشعر بأقل ألم . بلغ ذلك من فضلك كل القاهرة .

احسان — يصل ! . . . .

فايد — بل انى أشعر بسعادة . نعم انى لسعيد الآن . حريتى ردت الى . أصبحت طليقا اذهب حيث اشاء متى اشاء ومع من اشاء . اصبحت غير مضطر الى تقديم بيان عن جميع حركاتى وسكناتى — يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة — غير مقيد بموعد لا يمكنى ان أخلفه ولا ان أتأخر عنه ، لا . . . لا . . . كنت مستعبدا ! . . .

احسان — ضعفك امامها هو الذى مهد لها سبيل التسلط عليك ، أين ذهبت قوة ارادتك ؟

فايد — ألمن يحب قوة ارادة ؟ لابد انك احببت يا احسان وتعلم . . .

احسان — احببت مرة واحدة . كنت فى الخامسة عشرة من عمرى . والتى احببتها كانت خادمة فى بيتنا تدعى خضرة . عيناها الناعستان سحرتا فؤادى . خصرها النحيل أطار لبى ، فاصبحت طوع امرها ، تسلطت على ففقدت ارادتى . صدقت يا فايد ! يستحيل على من أحب ان يعصى لحبيبته امرا . لكنى كنت فى دور المراهقة ، ومنذ أصبحت رجلا لم أحب مطلقا .

فايد — ذلك من حسن حظك

احسان — ربما ! لكنى على كل حال لست فارغا للحب . . . مثلك . انى اهتم كثيرا بالعلوم والفنون الجميلة .

فايد — الحب علم وفن وله فائدته وجماله .

احسان — ابدا لا فائدة فى الحب ولا جمال ، اللهم الا اذا اعتبرت الألم فائدة والمنكر جمالا .

فايد — وماذا يدرى عن الحب من تنحصر معرفته به فى حبه لخادمة ؟ مسكين يا احسان ! لم تحب فتاة راقية . لم تحب على الأخص فتاة تبادلك الحب . والا لعرفت أن الحب هو هبة النفس كلها ... كلها ... بلا ترو ولا تبصر . هو اندماج تام لنفسين . هو ائتلاف كامل لقلبين . هو صلة بديعة عذبة تمزج بين روحين وتشرق عليهما لا يفصلهما شىء مطلقا .

(البقيه على صفحة ٣٩)

فلم « الوردة البيضاء »

لناقد « الرسالة » الفني

— ٢ —

أفضنا في الاسبوع الماضي في الحديث عن موسيقى عبد الوهاب في فلمه الاول « الوردة البيضاء » لانها العماد القوى الذى رفع هذا الصرح الشامخ عاليا وأناله هذه المكانة الرفيعة من النجاح والتقدير. وهذه الالوف التي تزاحمت لمشاهدة الفلم انما جذبتها موسيقى عبد الوهاب وألحانه القوية الفياضة التي يصوغها من روحه فتخرج ملؤها الحياة ، تعمر جوانبها ، وتفيض في نواحيها ، وكأن عبد الوهاب يضع فيها من نفسه ومن حاسته ، ويفرض عليك عند سماعها ألوانا شتى من العواطف والأحساسات لاقبل لك بدفعها أو الفرار منها ؛ وانك لتسمع ألحان هذا الشاب بقلبك وجوانحك قبل أن تسمعها بأذنك .

شغلتنا موسيقى عبد الوهاب اذن عن الحديث في النواحي الاخرى من الفلم ، وما ينبغي ان نغمط الممثلين الأكفاء الذين اشتركوا في تمثيل هذا الفلم ما أبدوه من الكفاية في أدوارهم جميعا . ونبدأ بالاستاذ محمد عبد القدوس « خليل افندى » وكيل الدائرة ، فقد كان الممثل الكامل ، وليس للناقد عليه من سبيل ، إذ أدى دوره على أحسن مايكون ، في بساطة وسهولة ويسر ، وفي كثير من الدقة والأمانة للشخصية التي يمثلها ، وهو ما اشتهر به عبد القدوس في تمثيله السهل الممتنع . وعبد القدوس لا يمثل ، ولكنه يعيش الدور الذي يقوم به . وهذا هو المثل الاعلى لفن التمثيل .

والاستاذ سليمان نجيب في دور « اسماعيل بك » والد رجاء كان كثير التوفيق في مشاهده المختلفة ، غير ان نزعته المسرحية كانت تبدو واضحة في حركاته واشاراته وحديثه . ولو حاول قليلا ان يتخلص منها لما كان لنا ما نأخذه عليه . ويبدأ سليمان جملته قوية ، في صوت مرتفع واضح ، وما يزال يخافت بها حتى يتلاشى صوته في النهاية فلا نسمع الكلمات الأخيرة التي تخرج اشبه ماتكون بالهمس أو المناجاة . وهذا العيب لايغتفر في المسرح فمن باب أولى في السينما . على ان مظهر سليمان نجيب بقامته المديدة ، وطلعته الوضاحة ، واناقته المعروفة ، مما يكسبه دائما طابعا خاصا يجعله بارزا ، ويكسب الشخصية التي يمثلها أهمية خاصة ، ويحيطها بجو ملائم لها مما من الترف والنعيم . وسليمان يعد بحق في مرتبة الممثلين المجيدين بين الهواة والمحترفين على السواء . وكم كنت أود ان أراه في موقفه من جلال عندما يطلب منه قطع علاقاته بابنته رجاء ، خيرا مما رأيته . وقد كان ذلك في وسعه .

وشخصية « شفيق بك » التي مثلها الاستاذ زكى رستم مضطربة بعض الشيء ، وأنت لاتستطيع ان تفهمها من سياق القصة تمام الفهم ، ويبدو التناقض في تصرفات هذا الشخص وفي اعماله طول الرواية ، وتستطيع ان تقول عن شفيق بك انه رجل لاطعم له ولالون ، وهذه الشخصيات التي لاتجد لها معالم اساسية واضحة من الصعب ان تحاسب الممثل على أدائها حسابا دقيقا . على ان زكى رستم استطاع بجهده انه ينقذ بعض المشاهد . وليس الذنب ذنب الممثل اذا كان المؤلف لم يخرج الشخصية واضحة محدودة المعالم والمظاهر .

وقد أدى الاستاذ توفيق المردنلي دوره « ناظر العزبة » بتوفيق يغبط عليه ، وكان فيه طبيعيا لا تلمح في مشاهده أثراً للتكلف ، بل كان صورة صادقة للفلاح المصرى الطيب القلب السليم الفطرة الصادق في خدمة مولاه ، وبرغم قلة مشاهده استطاع أن يبرز شخصيته ويجعل لها مكانة واضحة .

مثلت الآنسة سميرة خلوصي دور « رجاء » وهي المرة الاولى للآنسة التي تظهر فيها على الشاشة ، كما أنه لم يسبق لها مران على مهنة التمثيل ، وانها ولا شك خطوة جريئة أن تمثل دوراً له هذه الاهمية في الفلم ، ولا يكاد يخلو منه مشهد من مشاهده . ولذلك كان التقصير الذى يبدو من الآنسة انما يلام عليه المخرج ، وهو في هذه الحالة المسئول الاول عن « رجاء » لانه هنا يعمل في عجينة لدنة يشكلها كيف شاء ، ويدربها جهد ما تستطيعه مقدرته ،

وما تحمله موهبتها واستعدادها . وقد استطاعت الآنسة سميرة أن تجتاز بعض مشاهد الفلم موفقة ، كما بدت فى مشاهد أخرى كالطفل الخائف الذى ينفذ أوامر مربيه بنصها خوفا من العلقة ، التى تنتظره اذا حاد عن هذه الأوامر قيد شعرة . ولذلك كانت تبدو حركاتها أحيانا وفيها بعض التكلف ، وتحس باضطرابها تحت نظرات المخرج الواقف لها بالمرصاد فى إحدى الزوايا . وبرغم كل هذا نستطيع ان نقول انها نجحت فى دورها ووفقت فى اداء بعض مشاهده توفيقا كبيرا . وفى صوت الآنسة رنة مستحبة ، عذبة الوقع فى الاذن ، ساعدتها كثيرا على ان تجد لها مكانا رفيعا فى قلوب النظارة ، فكسبت بذلك عطفهم واعجابهم ، وبين الاثنين خطوة قصيرة المدى ، واريد ان أهنئها على ذوقها السليم فى اختيار ملابسها التى ظهرت بها فى الفلم : كلها أنيقة بديعة التنسيق تناسب جسمها وتلائمه .

قامت السيدة دولت بدور زوجة اسماعيل بك والد رجاء . وكان من سوء الحظ ان بدت ممتلئة الجسم الى درجة كبيرة أضاعت عليها كثيرا من رشاقتها المعروفة ، ولم يبذل المخرج جهدا فى ملافاة هذا العيب . والسيدة دولت ممثلة معروفة ، فلست بحاجة الى الافاضة فى هذه الناحية ، غير انى آخذ عليها انها أسفت بشخصيتها كثيرا فى المشهد الذى تشتم فيه « رجاء » فقد أتت فيه من الحركات ما لا يتفق والاحترام الذى نحمله لشخصية الدور ، وما لا ترتجله سيدات الطبقة الراقية مهما كانت الظروف .

ولا أنسى الاستاذ ادمون تويما فى مشهده القصير الذى قام فيه بتمثيل دور المستأجر الأصم ، فقد كان من مشاهد الفلم الموفقة .

*

أخطاء الأخراج كثيرة فى الفلم ، وعلى الاستاذ محمد كريم ان يتقبل نصيبه من اللوم فى شجاعة وسعة صدر ، فلا يزال الى اليوم فى خطاه الاولى ، ونرجو له إذا تفرغ لدراسة هذا الفن ، فن الأخراج السينمائى بنواحيه المختلفة وأبوابه المتعددة ، ان يكون فى المستقبل اكثر توفيقا وإلماما بعمله .

أول ما آخذه على المخرج ان مشاهد « جلال » وخصوصا الغنائية منها لم تظهر فى المستوى الفنى الذى كان يجب أن تظهر فيه ، وقد حد بذلك من حرية عبد الوهاب ولم يهيء لبعض أغانيه الجو الذى يلائمها فيزيدها جلالا وسحراً ويضاعف تأثيرها فى النفوس ، وشتان بين المشهد الختامى والمشهد الذى يغنى فيه عبد الوهاب « جفنه علم الغزل » وبين مشاهد « ياوردة الحب » و « سبع سواقى » ومشهدى التخت .

وقطعة النيل كان فى مقدور المخرج النابه ان يستفيد مما فيها من حركة وحوار ووصف ، وكان يمكنه ان يخرج منها مشهداً رائعا . فالنيل فى ضوء القمر على مقربة من الاهرام ، وبعض المراكب الشراعية تسير على مهل ، ورجاء وجلال فى قارب منها ، وفى خلوة رقيقة بين أحضان الطبيعة ، هذا وأنغام اللحن الشجى تنساب فى مثل رقة النسيم وخرير الماء : فأية روعة كانت تكون لهذه القطعة ؟ ولكن المخرج حبس جلالا بين أربعة جدران وهو يغنى أنشودته الجميلة ، ولم يحاول حتى أن يستفيد من وجود « رجاء » فى الغرفة المجاورة ، فقد كان فى وسعه أن يتنقل بين الغرفتين ، فنرى جلالا يغنى ، ثم نرى « رجاء » مأخوذة بسحر صوته ، وتبين على وجهها ملامح الانفعال والنشوة والطرب ، مما يكسب القطعة حياة . وأى فارق بين هذا المشهد كما أخرجه كريم وبين ان نسمع هذا اللحن من الحاكى ؟!

وفى مشهد « يا وردة الحب » اضطر عبد الوهاب أن يقف ويدور ، ويجلس تارة على الكرسى ، وتارة على المنضدة . وأن يتكلف فى الجملة كثيراً من الاشارات والحركات حتى ينتهى من اللحن ، كما ان انشاده لقطعة (سبع سواقى) فى مكتب العمل لم يكن طبيعيا مطلقا ، وكان يمكن ان يهيأ الجو المناسب للقطعتين .

وانى لأعنى اكبر عناية بمشاهد الغناء فى الفلم لانها الاساس فيه . ولذلك اطلت الحديث عنها عامداً . وكنت اود ان تكون عناية الاستاذ كريم بها اكبر ، وتوفيقه فى ابرازها أقوى واظهر . وقد كانت ميدانا صالحاً لابراز الكفاية والموهبة والذوق الفنى للمخرج .

ومما يعاب على الفلم القفزات التى فيه من ناحية الحوادث ، والتى لم يمهد لها المخرج تمهيداً كافيا ، ثم بساطة الاخراج فى مجموعه مما يجعله اقرب الى تسجيل الحوادث على طريقة مخبرى الجرائد اليومية منه الى الابراز الفنى الصحيح الذى يطبع الرواية بطابعه ، ويجعل لها قيمة فنية تكسبها ذاتية خاصة . وكان فى الوسع الاستغناء عن بعض مشاهد الفلم واختزال البعض الآخر . وكان يفيد ذلك فى إضافة مشاهد جديدة تستقيم بها الحادثة ، أو إطالة بعض المشاهد الموجودة التى تبدو كأنها مبتورة .

ومن المشاهد التى ضاعت تماما وكان يمكن ان تكون من المشاهد الفنية القوية التى لا ينساها المتفرج أبداً ، مشهد اسماعيل بك عند زيارته لجلال يطلب منه كوالد قطع صلاته برجاء .

ولست أدرى كيف غابت اهمية هذا المشهد عن المخرج ، مع انه يكاد يكون أهم مشاهد الرواية ، وهو نقطة التحول فيها . كان

(البقيـة على صفحة ٣٩)

الحركة المسرحية والسينمائية في الخارج

فينا

يعد ماكس رينهاردت من أشهر رجال المسرح في العالم اليوم ، وقد عرف بنظرياته الحديثة في الفن والاخراج المسرحي . ووضع أحد كبار النقاد كتابا عن فنه ومسرحه يقع في عدة أجزاء ، ويعتبر من أهم المراجع في الفن المسرحي الحديث . وكان لرينهاردت مسرحه الخاص في المانيا والى جانبه مدرسته لتلقي اصول الفنون الجميلة ، وشهرتها معروفة في العالم اجمع ، وقد اضطر الى هجر عمله في المانيا عقب قيام الحركة الهتلرية الاخيرة التي ناصبت اليهود العداء .

ورينهاردت يهودي ، وهو يقيم الآن في فينا وسيبرحها قريبا الى باريس للاشراف على اخراج احدى المسرحيات المعروفة . ثم يقصد استكهلم فكوبنهاجن ، وسيخرج في كل من المدينتين بعض الروايات المسرحية . وفي مارس القادم سيرجع الى فينا للعمل في احد مسارحها الكبرى ثم يبرحها الى أمريكا في رحلة يطوف فيها أشهر مدنها . وقد أرسل اليه السنيور موسوليني ليتفق معه على أن يتولى اخراج رواية « المائة يوم » في أمريكا . وهي الرواية التي كتبها السنيور موسوليني عن نابليون وظهرت في جميع عواصم أوربا في الشتاء الماضي وتدور المفاوضات مع رينهاردت على أن يتولى اخراج رواية « المحراث والنجوم » للكاتب المعروف سان أوكيزي في كوبنهاجن في موسم الشتاء الحالي .

ميلانو

وضع رينالتو ليللي من الكتاب المعروفين في ايطاليا درامة غنائية ، تدور حوادثها حول حياة ريشارد وجنر الموسيقار الشهير . وقد اقتبس لها كثيراً من الحان وجنر في أوبراته المعروفة

دون كيشوت

تعد قصة « دون كيشوت » لسرفانتس الكاتب الاسباني الشهير من أحسن القطع الادبية المعروفة . ولها شهرتها ومكانتها في العالم أجمع ، وقد ترجمت الى جميع اللغات وأخرجت في العام الماضي على الستار الفضي ، ومثل فيها شاليابين المغني الروسي الشهير دور « دون كيشوت » وعمل من الفلم عدة نسخ بلغات مختلفة . ولقي نجاحا كبيراً عند عرضه في عواصم أوربا ، غير أن النقاد في لندن اختلفوا في الحكم عليه ، فناقد السنداي اكسبريس يرى أن الفلم ليست له قيمة فنية . ويقول سيدني كارول من النقاد المعروفين في سنداي تيمس انه ممل ، وان المخرج فشل في اخراجه ، بينما يعده ناقد نيوز كرونكل من أحسن الافلام العظيمة التي أخرجت على الشاشة . وقال بعض النقاد ان هذه القصة لا تصلح للعرض على الشاشة ، لأن قوتها وبلاغتها في اسلوب الكاتب وفي دقة وصفه ، وهو ما لا تستطيع السينما ان تنجح في اخراجه

لندن

تعمل الآن على مسرح « دوق اوف يوروك » فرقة من الممثلين الالمان اليهود من الذين طردوا من المانيا عقب قيام حركة هتلر الاخيرة ، وتعرض الفرقة اشهر روايات شيلر وزدرمان المؤلفين الالمانيين الشهيرين ، وقد اهتم النقاد الانجليز بالكتابة عن هذه الفرقة وعن رواياتها . ونالت حفلاتها كثيرا من النجاح

هوليود

يخرج الآن في هوليود فلم بطله الهرهتلر رئيس الحكومة الالمانية وزعيم حزب النازي . وقد أطلق على الفلم اسم « كلب أوربا المجنون » ويمثل دور البطل فيه شخص لم يسبق ظهوره على الشاشة الفضية ويشبه الهرهتلر تمام الشبه .



شاليابين في أحد مشاهد فلم « دون كيشوت » والى جانبه دوفيل الذي مثل دور سانكو بانزا في النسخة الفرنسية من هذا الفلم

من لغو الصيف الى جد الشـــتاء

(بقيـــة المنشور على صفحة ٦)

فى الشتاء جد آخر ، جد خصب حقا، جد نافع حقا، جد نعيش منه ، ونلهو به ، ولا يجنى منه اصحابه الا حياة كلها خشونة وشظف وحرمان ، هو جد هؤلاء الفلاحين الذين يعملون فى الارض ، لا يحفلون بالبرد ولا يحفل بهم البرد ، وفى الشتاء جد آخر ، جد يمزق القلوب، ويعذب النفوس ، ويبعث اللوعة والاسى فى افئدة الذين يعرفون الرحمة واللين ، ويذكرون حين يلهون ان فى الارض قوما آخرين يعنيهم الجوع ، ويلح عليهم البرد، فيقضون ليالى خير منها ظلمة القبور ، فى الشتاء هذا الجو المظلم القاتم ، المرهق المحرق الذى تصوره اجمل تصوير وابلغه تلك الاغنية المشهورة اغنية الاحسان التى مااستطعت ان استقبل الشتاء منذ عرفتها دون ان اسمعها مرة ومرة:

هذا الشتاء يقبل، ومعه حاشيته الحزينة ، ان الاشقياء ليألمون كثيرا فى الشتاء . ان من الحق علينا أن نحميهم من هذا الشقاء ، ان البرد لشديد فى دورهم المقفرة!

حقيقة التطور

(بقيـــة المنشور على صفحة ٢٨)

اصبح فى منتهى الاختصاص (over - specialised) كالتنين الطائر او البتيرودكتل (Flying dragon on Pterodactyl) لانها انقرضت بدون ان ترتقى اكثر من ذلك .

ان بعض الزحافات القديمة لا تزال متمثلة بالتماسيح والضباب وفصائل اخرى موجودة فى الوقت الحاضر ، ولكن البعض الآخر اصبحت انسالا منقرضة وافضت غيرها الى نشوء الطيور واللبائن وهما الصنفان اللذان نستطيع ارجاعهما الى الاجداد الداينوسورية (Dinosaurian) . ولكن الحقيقة التى نعتقـــدها هى انه فى خلال العصور ظهرت صنوف تدرجت فى سلم الارتقاء حتى وصلت الى الانسان وهو ارقى الحيوانات فى الوقت الحاضر . يضاف الى هذه الحقيقة العظيمة جميع السلالات النسبية (Pedigrus) المحفوظة بين الصخور — كسلالات الخيول والفيلة والجمال والتماسيح . ومن ينقب يقرأ سجلات التطور بين ثنايا الصخور .

النفس والرقص

L'AME ET LA DANCE

لبول فالـــيرى

ابتداء من العدد القادم سننشر ترجمة هذه الطرفة للدكتور طه حسين

صديقها عشيقها

(بقية المنشور على صفحة ٣٥)

احسان — كيف ؟ والشرائع والعادات ؟

فايد — الحب يشـــور على كل شىء . ينسف كل شىء كما يغفر كل شىء .

احسان — والضمير والواجب ؟

فايد — من أحب لا يعقل .

احسان — هذه فوضى .

فايد — هـذا هو الحب « يدخل الخادم من الباب الذى الى اليسار قائلا :»

الخادم — وضعت الملابس جميعها . ليتفضل سيدى فيختار من اربطة الرقبة والمناديل ما شاء

فايد — انتظرنى من فضلك يااحسان . سأعود اليك بعد قليل

احسان — وهو كذلك

« يخرج فايد من الباب الذى الى اليسار ويتبعه الخادم »

تتمة الرواية فى العدد القادم

فلم الوردة البيضاء

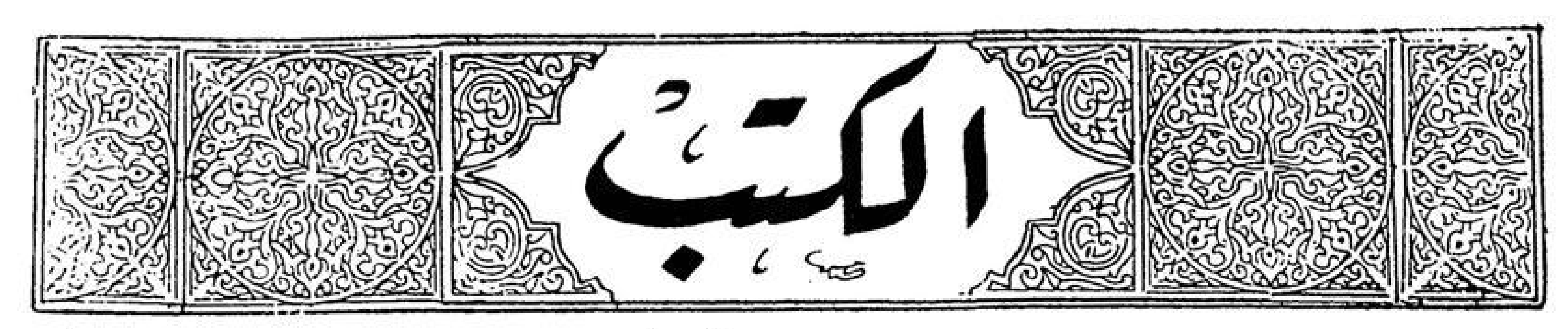
(بقيـــة المنشور على صفحة ٣٧)

مشهدا فاترا عليه مسحة التكلف ، وقد يكتفى مخرج نابه تدبير بخلق موقف كهذا فى سياق القصة ليبنى عليه مجده وشهرته ؛ وليضفى عليه من فنه حياة وقوة ، لما فيه من أهمية الحادث وصراع العوامل المختلفة ، مما يجد فيه المخرج مجالا لأبراز كفايته

وكان يستطيع المخرج بفنه وبما يظهره فى ثنايا المشهد من العراك القوى العنيف بين اسماعيل بك وجلال وما ينتاب كلا منهما من مختلف عوامل النفس ، وشتى الانفعالات ؛ واضطراب جلال وألمه الدفين ؛ وقسوة اسماعيل بك والحاحه الى غير ذلك من المواقف التمثيلية التى يخلقها المخرج ، كان يستطيع بذلك ان يقوى نقطة الضعف فى الرواية من قبول جلال للتضحية دون مسوغ او مبرر ؛ بل كان يمحوها محوا ؛ ويخلق الرواية خلقا جديدا

ولم يلاحظ المخرج التلاؤم بين الأضواء والاشخاص فى بعض مناظر الفلم ؛ كما فاته ان يلائم بين ملابس الممثلين وألوان المنظر والأثاث ، كما ان ساعات الليل والنهار امتزجت امتزاجا كبيرا بحيث كان يصعب علينا أحيانا ان نحددها : فترى مثلا ضوء النهار ثم مصباحا كهربائيا منارا فى نفس الوقت .

وقس على ذلك كثيرا من الأخطاء المنثورة هنا وهناك ، على ان هذا الفلم يعد خيرا من فلمى « زينب » و « أولاد الذوات » اللذين اخرجهما كريم من قبل فلنهنئه إذن ؟



على هامش السيرة

تأليف الدكتور طه حسين

للدكتور محمد عوض محمد

اذا ذكرت كلمة (السيرة) فى هذه الاقطار الفسيحة التى يظلها الاسلام ، فانها لن تنصرف إلا الى معنى واحد ، الى سيرة واحدة : هى سيرة محمد بن عبد الله . . وهيهات ان يكون فى الدهر كله سيرة أطيب نشرا وأعذب ذكرا من سيرة هذا النبى الأمى ، الذى نشأ وسط الصحراء المقفرة المظلمة فلم يلبث ان ملأ العالم خصباً ونورا

وإنى إذ أجلس الساعة لأقول كلمتى الضعيفة فى هذا الكتاب الذى بين يدى ـ تعود الى خاطرى ذكرى عهد بعيد ، حين كنت اطلب العلم فى مدرسة المعلمين ، وكنت أكثر من الاختلاف الى دار الكتب المصرية ؛ حيث أعكف على مطالعة الأسفار التى لها صلة بسيرة هذا النبى الكريم . وكنت أكثر على الخصوص ، من مطالعة ما كتبه المستشرقون عن الاسلام ، وعن الرسول عليه السلام . فكنت أحيانا أجد ما يطفىء الغلة ، وتبرق له الاسارير ، وينشرح له الصدر . فأنطلق الى دارى راضيا ، تملأ قلبى الغبطة والسرور . واحيانا كنت ـ وياللأسف ! ـ أقرأ ما يبعث فى القلب حنقا وكمدا ، فأنصرف الى منزلى حزينا كئيبا مكلوم الفؤاد

ولست أدرى تماماً ما الذى كان يجذبنى الى كتب المستشرقين فى تلك السنين ؛ مع أنها كتبت فى لغة غير لغتى ؛ وكنت أجد فى مطالعتها عسرا ومشقة ... لعلى كنت أقبل عليها إذ يشوقنى الانصات إلى شهادة غير المسلمين بفضل الاسلام ، لكننى أرجح الآن ان هنالك سببا آخر أدق وأخفى ، وهو أنى كنت ألتمس سيرة محمد بن عبد الله فى تلك الكتب غير العربية لأن ما كتب فيها ـ على علاته ـ سهل التناول ، منسق الوضع ، ولهذا لم تنته أيام دراستى فى ذلك العهد حتى طالعت ، مثلا ، مؤلفات السيد أمير على الانكليزية ولم استطع ان أقرأ جزءا واحداً من سيرة ابن هشام . وكان أكبر ما ينفرنى من هذه الكتب القديمة ذلك الاكثار من الاسانيد ، وادخال الحديث فى الحديث ، بحيث يختلط الكلام على غير من تعود مطالعة هذه الاسفار

ولقد شكوت الى الاستاذ طه حسين أنى بت مضطرا ـ قبل ان أبدى رأياً فى كتابه الجديد ـ الى مطالعة هذه الاسفار القديمة وأنى سأعيا بكل هذه الاسانيد الطويلة العريضة ، وهذه الأخبار المتداخل بعضها فى بعض . وما أظن دراستى القاصرة ستساعدنى على تذوقها والاستمتاع بها .

فقال الاستاذ : إن ألذ شىء عندى فى كل ما أطالع وأقرأ هو هذه الاسانيد الطويلة التى تنفر منها . وليس شىء أحب إلى من ان أنصت الى الخبر أو الحديث واتتبعه من اول الرواية الى آخرها .

فعجبت أولا كيف يتسنى لانسان ذى ذوق سليم ان تحلو له قراءة هذه العنعنات التى لا تكاد تنتهى . لكننى لم ألبث أن أفهمت ان المرء متى عرف الرواة جميعا وعلم من أمر كل منهم شيئا ؛ فان هذه الأسماء لا تصبح مجرد أسماء ، بل أشخاصا تعرفهم يتحدثون اليك ، وتعلم أيهم تستطيع ان تركن الى كلامه وروايته

وبعد ان شرح لى الاستاذ هذا الأمر الذى أشكل على ؛ تبينت ـــ أو على الأقل ثبت لدى ما كنت أتوهمه من أمره وما أكاد أثبته ـــ أن ثقافة الدكتور طه حسين الحقيقية هى ثقافة أزهرية متينة قوية الأسس ، ضخمة الدعائم ؛ وطيدة الأركان . وأن ليست ثقافته الغربية ، التى نسمع عنها الشىء الكثير ، الا رواء وطلاء ان بهر العين منظره فانه لا يذهب الى غور بعيد . وقديما قال نابليون فى الروس : إنك اذا حككت الروسى بدا لك التترى ؛ وفى وسعنا أيضا أن نقول اذا حككت طه حسين ، برفق ، بدا لك الازهرى القح الصميم بكل ما تحمله هذه الكلمة من فضل وعلم .

وقد استطاع طه حسين ـ على غير عمد ـ أن يصرف الناس عن حقيقة أمره بحديثه عن اليونان والرومان والسكسون واللاتين ، واثارته هذه الزوابع التى برع فى إثارتها اثناء كلامه عن أشخاص مثل ديكارت وليبنتز وبودلير ، وعن التجديد ، وما أدراك ما التجديد .. فلعل أصدقاء طه حسين أن يحمدوا الشخص الضعيف كاتب هذه السطور أن كشف لهم من أمر صديقهم ما خفى عليهم طوال هذه السنين .

وبعد ؛ فان بين يدى كتابا ليس موضوعه جديدا على قراء هذه الصحيفة . فان الفصول الثلاثة الأولى قد ولدت مع الرسالة ؛ وظهرت فى أعدادها الأولى ، وأعرف أن الكثير من قرائها قد راقهم من الموضوع جدته وطرافته ، ولست أشك فى ان بهم شوقا للاستزادة من تلك الفصول . فها هو قد أتمها أربعة عشر فصلا ، وما أظن ـ وما أرجو ـ أن سيقف بها عند هذا الحد .

ان كتب الدكتور طه من صنفين : الأول كتب أدبية بحتة

والثاني كتب في نقد الأدب وفي تاريخه . وهو نفسه ينعت هذين النوعين بالأدب الانشائي والأدب الوصفي ، ويمثل الأول كاتب مثل شكسبير ، ويمثل الثاني كاتب مثل سنت بوف . وأولى بنا أن ندعو النوع الأول بالأدب : والثاني بالنقد . والضرب الأول هو الأسمى والأشرف ؛ وكثير من الناس يستطيع أن يستحسن أو يستهجن وأن يبحث ويقرر . أما الابتداع فلم يتح الا للقليل من الناس . ولقد حاول سنت بوف أن يكون شاعراً فلم يأت بعظيم ، فانقلب الى النقد ولسان حاله يقول : من استطاع فليكتب ، ومن لم يستطع فلينقد !

في هذه العبارات شيء من التحامل على الناقدين ، وقد أوردناها على هذه الصورة عمدا لأننا نريد أن نتحامل على طه حسين الكاتب الناقد ، وان ننتصف منه لطه حسين المؤلف الأديب . فقد رأينا في الاستاذ أحيانا ولعا بالانصراف الى النقد والى المؤلفات النقدية مثل حديث الاربعاء وحافظ وشوقي والأدب الجاهلي . ولقد تدهشه هذه الضجة التي تبعثها كتاباته ، ويغتبط بهذا العثير الذي يثيره في الفضاء ويملأ به الجو حينا من الزمان . والحقيقة التي نرجو أن يدركها الاستاذ قبل فوات الاوان هي أن الصفحة الواحدة من كتاب (الأيام) أبقى على الزمن من كتاب الأدب الجاهلي كله .

ليس لطه حسين اذن في الأدب البحت سوى كتب ثلاثة : (الايام) و (في الصيف) و (على هامش السيرة) الذي بين ايدينا

ويمتاز هذا الكتاب الجديد من سابقيه بأن المؤلف لم يلجأ هنا الى حوادث حياته الخاصة ، بل انصرف الى الأخبار القديمة ، فالتمس وحيه بين صفحاتها . . والذي يدهش له القارىء أن يرجع الى تلك الكتب القديمة ثم يعود الى (هامش السيرة) فيرى أمامه شيئا مبتدعا مخترعا ، وجدة جذابة ، وطراقة معجبة . ومع هذا كله لا يرى خروجا عن الأصول التي استوحاها المؤلف واستلهمها

اعتمد طه حسين على الكتب القديمة كما اعتمد شكسبير على قصص فلوطرخوس وأمثاله ، وشتان بين السبيل التي سلكها شكسبير وبين الاصل الذي استرشد به . . وكذلك كان طه حسين يتناول الحادث الذي يمر به قارىء السيرة عجلا ، دون أن يلفت نظره منه شيء ، يتناوله ثم يأخذ في تصويره وتحليله وابرازه واظهاره وتقليبه على نواحيه ، حتى يثب أمام العين وثوبا ، ويبدو ما في الحادث البسيط من حكمة وشعر ، ومن قوة وسحر . وأكبر شيء ساعد طه على تأليف كتابه هذا مقدرته على تبين الموقف الذي ينطوي على شيء كثير من الحكمة ومن الشعر ، فيختار هذا الموقف ثم لا يزال به يصقله ويجلوه حتى يبديه للعين رائعا مجسما ملموسا . وقد خدمه التوفيق في الكتاب كله ، فان الفصول ـ وان تفاوتت احيانا ـ فانها جميعا تشهد بحسن الاختيار ، والابداع في التصوير .

وقد أصبحت أشخاص هذا الحديث ، وليست اسماء مجردة وألفاظا مسطورة ؛ بل كائنات حية بارزة نكاد أن نحسها ونراها تتحرك بين أيدينا : وقد أبدع طه أيما ابداع في وصف شخصية عبد المطلب ووصف حياته منذ أن أخذ في حفر زمزم ، الى التقائه بأبرهة الاشرم ، الى رقابه رقبة الموت بين الأبناء والأحفاد . يصف طه هذا كله فنرى الصور أمام أعيننا مثقوبة لا لبس فيها ولا ابهام .

في الكتاب الشيء الكثير الذي يستثير الاعجاب ؛ ولكن أكبر ما يعجبنا فيه هذا الابداع في تصوير الأشخاص عامة وشخص عبد المطلب خاصة ، ثم هذه الحياة التي تنتظم المناظر والمواقف ، بحيث يرى القارىء نفسه وقد نقل نقلا الى ذلك الزمن وتلك الأمكنة .

وقف المؤلف في هذا الكتاب على (هامش) السيرة . لم يقف في وسطها ولا بعيدا عنها بل على هامشها . وقد كان من حسن التوفيق أن اختار هذا الموقف الذي مكنه من أن يبتعد عن السيرة أحيانا اذا دعا لذلك داع : ثم يعود إليها بعد أن يطوف بالآفاق ؛ معرجا على بلاد الروم والأحباش واليمن . وقد اضطر إلى أن يبتعد عن السيرة قليلا لكي يشرح لنا ماذا دعا أبرهة الأشرم الى الاغارة على البيت الحرام في العام الذي قدر للعالم فيه أن يستقبل أكرم أبنائه وأشرفهم . فلقد جاء أبرهة من الحبشة الى اليمن لكي يؤدب يهود اليمن على اضطهادهم للمسيحيين الذين استوطنوا بعض جهاتها . . . وهذا كله اضطر المؤلف الى ان يرينا كيف حلت اليهودية محل الوثنية ، وكيف انتقلت اليهودية الى بعض نواحي جزيرة العرب وكيف حملها « تبع » ملك اليمن والى صنعاء الى اليمن . ثم كيف أخذت النصرانية تنتشر وسط الاضطهاد والتذابح في مختلف الانحاء : في مصر وبلاد الحبشة وفي نجران من بلاد اليمن . وكيف قام يهود اليمن فذبحوا نصارى نجران . وجاء الاحباش الى اليمن ليثأروا من اليهود . وكيف بقي أبرهة الحبشي حاكما على اليمن ، ثم حاول أن ينشر النصرانية فيها وفيما جاورها من الأقطار . وهكذا أقبل على الحجاز بجيشه وفيله . وأراد أن يدمر الكعبة فرده الله ودمره هو وجنوده . وفي تلك السنة ولد الصبي اليتيم محمد بن عبد الله .

كان لا بد للمؤلف أن يبتعد عن السيرة قليلا ، لكي يشرح لنا كل هذه الحوادث ، واضطر لأن يقوم بهذا الشرح في خمسة فصول (من السادس الى العاشر) ، تحس أثناء قراءتها أن المؤلف يكتب في شيء من السرعة والايجاز ، كأنما يخشى أن يطول غيابه عن مكة وأهلها ، وعن السيرة وما يحيط بها . فهو يريد أن يسرع بالعودة اليها . وهو لهذا الى أن مضطر يلخص الحوادث ، على خطورتها ، تلخيصا ، ويكتفي في بعض المواضع بان يلم بها إلماما . ولقد هممت بأن أؤاخذه على هذا لولا اني ذكرت أن المقام لا يحتمل الاطناب ، وان الاسراف في نقش الاطار يحجب جمال الصورة ويضعف تأثيرها .

برغم ذلك كله فان في هذا الوصف المعجل للحالة الروحية في الشرق قطعا هي آية في دقة الخيال والتصوير . وان كان لا بد من الاستشهاد فلنذكر للقارىء على سبيل التمثيل تلك القطعة التي يعرض

علينا فيها آلهة اليونان فيرينا أبولو والمريخ وأرتيمس وأثينا ، وقد اجتمعوا لينظروا فيما عساهم يفعلون؛ فلم يلبثوا أن أجمعوا أمرهم على أن يرحلوا عن الديار التى سادوا فيها زمنا طويلا ، وتحكموا فى أهلها قرونا ، وقد آن لهم أن يتراجعوا أمام هذه الآيات السماوية الجديدة التى محتهم ونسخت دينهم .

بمثل هذا الحوار الشعرى الجميل يصف لنا المؤلف كيف زالت الوثنية اليونانية وحلت محلها اليهودية والنصرانية . وهذه القطعة وحدها تشهد بان المؤلف قد رزق النصيب الأوفر من خصوبة الخيال ، والمقدرة على الباس الحادث العادى ثوباشعرياً رائعا .

وهنالك فائدة أخرى استفادها المؤلف فى موقفه (على الهامش) ذلك انه استطاع ألا يتقيد بالترتيب الزمنى للحوادث ؛ فاذا بدا له أن يسهب فى وصف شخصية راقته وأعجبته اندفع فى وصفها الى النهاية ، لا يلفته عن ذلك حادث أو خطب . فقد أعجب - مثلا - وحق له أن يعجب ، بشخصية أم أوفى حاضنة النبى ، فلم يزل يصف حياتها منذ ولادة محمد بن عبد الله الى أن شهدت عهد أبى بكر وعمر وعثمان ، ثم يعود بعد ذلك الى حديث الرضاعة ووفاة عبد المطلب

وهذه الخطة التى ألزم بها المؤلف نفسه قد تبدو غريبة وربما اعترض عليها بانها تدفع بالقارىء من أول السيرة الى عصر الخلفاء الراشدين ثم تعود به مرة أخرى الى بدء السيرة . ولا تزال بالقارىء هكذا ذهابا وايابا ، ومع أن لهذا النقد وجاهته التى لا شك فيها ، فان للمؤلف عذره بان الذى يريد أن يكتبه ليس حديث السيرة بالذات بل دراسات مستقل بعضها عن بعض ، وفى وسع القارىء أحيانا أن يطالع الفصل مقتطعا من الكتاب فلا يكاد يفتقر الى ما سبقه .

بقيت كلمة لابد منها عن أسلوب الكاتب ، أى عن طريق الأداء عن المعانى والابانة عما فى صدر المؤلف.

ان لطه حسين من السيطرة على اللغة العربية التى لا تضارعها لغة فى قوتها وفصاحتها ، كما لا تضارعها لغة فى شدتها ومنعتها ، أن لطه حسين من السيطرة على هذه اللغة وعباراتها المتينة الرصينة مالا يعرفه الا الذين عاشروه من كثب وراقبوه وهو يعمل فى قوة ونشاط . ومتى وفق الى اختيار الموضوع الذى يرضاه ؛ وهداه خياله الواسع الى طريقة معالجته ، فقد هان الامر وسهل كل شىء ومضى فى الاملاء كما يتدفق النهر الجارى

غير أننا اذا كنا نشكو شيئا فانا نشكو هذه القوة بعينها . وهذه السيطرة التى قد تطغى أحيانا فتدفع بالكاتب الى التعسف ، والى الابتعاد عن الطريق التى يسلكها الناس جميعا ، انظر اليه مثلا إذ يحدثك عن الدمع الذى يتساقط غزيراً من العينين فيقول لك انها دموع غلاظ . ويكفى أن يعلم طه أن الناس جميعا يقولون دموع غزار ، لكى يقول هو دموع غلاظ.

هذا الشىء ، والقليل مثله مما قد يصادفنا فى الكتاب ، سنة من سنن القوة والسلطان رأيناها من قبل فى مثل أبى تمام وأبى الطيب المتنبى الذى كان يتعمد قول الشىء الغريب النافر ولأنه قوى ولانه مدل بقوته ، ولأنه لا يبالى بالأرض ومن عليها .

وما أحسن المثل العامى الشهير (العافيه هبله !)

على ان المؤلف فى هذا الكتاب قد أدى معانيه بلغة فيها بلاغة وابداع يفوقان حتى الذى ألفناه منه وتعوذناه . والسبب فى هذه الاجادة سهل إيضاحه : فان الموضوع الذى يعالجه هنا موضوع عربى صميم ، والبيئة عربية خالصة . والمتكلمون من قريش وغير قريش من الناطقين بالضاد . وهذا كله قد أتاح للمؤلف فرصة لأن يتدفق نهره العربى الفصيح الذى لا تشوبه عجمة اللاتين ولا التواء السكسون . فانطلقت سليقته العربية حرة طليقة واكبر الظن أنه هو ليس مدركا لهذا الامر . ومع ذلك فان فى الكتاب قطعا قد بلغت فى الاسلوب الشعرى منزلة يصعب أن نجد لها ضريبا . حقيقة أن أمثال تلك القطع ليس فى كل مكان من الكتاب ، ولكنها فى كثير من المواضع ، بحيث يصبح من العبث أن نستشهد هنا بقطعة أو قطعتين . ولا بد للقارىء من الرجوع الى الكتاب كله . ولابد له من قراءته فى تأمل وتمهل وتذوق لهذه الفصول الرائقة التى يسمو فيها النثر حتى يضاهى الشعر ، ويؤثر فى النفس تأثيرا شعريا خالصا .

وللمؤلف شغف بالوضوح والبيان ، فهو لا يحاول أن يستر معنى ولا فكرة بستار أو غشاء . وما حاجة الوجه الجميل الى الستر؟ فهو ليس من عشاق الغموض ، بل إنه ليسرف فى حبه للوضوح والجلاء اسرافا ، ولهذا نراه يكثر من هذا التكرار الذى يعرفه قراؤه دون أن يدركوا له سرا . بل ربما لم يدرك هو نفسه سر هذا التكرار . وقد يعده الناس من ضرورات النثر المنسجم ولهم فى هذا بعض الحق ؛ ولكن أكبر الحق فى هذا ان الذى يدفعه الى تكرار لفظ من آن لآن هو رغبته فى ان يفهم عنه ما يقول من غير لبس ولا إبهام.

والآن ، وقد أوشك هذا النقد أن يختم ، يتردد فى النفس سؤال: سؤال من ذلك الطراز الذى يدفعنا اليه الفضول الأدبى . وهو من أى أنواع الأدب هذا الكتاب الذى بين أيدينا ؟ أهو رواية قصصية تاريخية ؟ أهو من نوع المقامات أم مجرد مقالات ؟

ولست أدرى ما ولع النقد بتصنيف كل شىء وتسمية كل أثر؟ ولئن كانت الفاكهة لذيذة شهية ، فهل يضيرنا أن نجهل اسمها ؟ ان الفكر البشرى ما برح مولعا بأن ينسج على غير منوال . لكن اذا اجتهدنا أن نجد لهذا المؤلف شبيها بين المؤلفات ، فلعل أقرب شىء يشبهه هو تلك الملاحم التى تصف العصور الغابرة ، وتجمع بين القوة والاعجاز